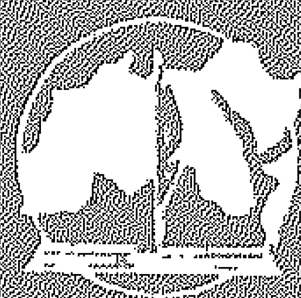
المرأة في الإسلام

وفي الفكر الغربي

الدكتور فؤاد حيدر



دار الفكر العربي



المرأة في الإسلام

وفي الفكر الغربي

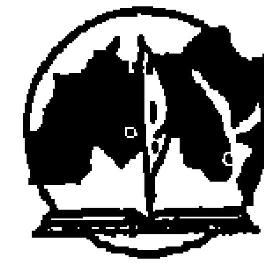
المرأة في الإسلام

وفي الفكر الغربي

الدكتور فؤاد حيدر



دار الفكر العربي



دار الفكر العربي

للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب ١٤/٥٠٧٠١ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مطابع يوسف بيضون

بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٩٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٦٠٠٧٤٣

المقدمة

إن اختلاف مظاهر السلوك بين الذكر والأنثى يعود إلى تفاعل مجموعة من العوامل المعقدة والمتشابكة منها: التربية، التنشئة، الوسط الاجتماعي، التكوين البيولوجي، وظائف الأعضاء الفسيولوجية، السمات الوراثية، نظام القيم والمعايير والمعتقدات الأخلاقية والدينية.

وعلم النفس التحليلي يحاول أن يفسر الدوافع للسلوك إنطلاقاً من مفهوم الغريزة، لأن الدوافع ترتبط بمجموعة من الغرائز: غريزة حب الذات، غريزة العدوان، غريزة الموت، الغريزة الجنسية، غريزة حب البقاء، غريزة البناء. . .

وعلم النفس التحليلي يهتم بالآليات والميكانيزمات التي تساهم في تكوين الأنا إنطلاقاً من الدوافع البيولوجية التي لها أهميتها على صعيد التكوين النفسي للشخصية.

علينا أن نشير إلى أهمية التفاعل بين الاستعدادات البيولوجية من جهة، والوسط الاجتماعي والثقافي من جهة أخرى. لكنّ التجارب والخبرات العاطفية والإنفعالية للشخصية وما ينتج عن هذه التجارب من صراع داخلي، لا يمكن حصرها ضمن الإطار البيولوجي والإجتماعي.

يعتبر الصراع النفسي من الركائز الأساسية التي تساعد على فهم الحياة النفسية للمرأة. إن الصحة النفسية للشخصية لا تعني غياب الصراع. الجانب الأساسي في الموضوع هو تحديد الطرق والوسائل المستعملة لمواجهة الصراع الداخلي والخارجي. مدارس علم نفس المرأة في الفكر الغربي تهتم بفهم المرأة

على المستويين البيولوجي والفسيولوجي، وتفاعل البيولوجي مع التربية والتنشئة والوسط الاجتماعي وما ينتج عن هذا التفاعل من مظاهر سلوكية على المستويات النفسية، والعاطفية، والإنفعالية، والجنسية، والفكرية، والجسدية، والإجتماعية. إن النظريات الغربية حاولت فهم شخصية المرأة بأساليب متعددة ومتنوعة ومعقدة، وهي تنطلق من مفاهيم وفرضيات مختلفة. بعضها يحاول تفسير المرأة انطلاقاً من مبادىء التحليل النفسي (فرويد، ميلاني كلاين، هيلين دويتس). يركز أصحاب هذا الاتجاه في فهم المرأة على الجانبين الفسيولوجي والبيولوجي، والغرائز واللاوعي. أما علم الطب التشريحي فينطلق في تحديده لسمات المرأة من طبيعة التكوين التشريحي لوظائف الأعضاء (المخ، الجهاز العصبي، الغدد، الجهاز التناسلي). فقد أثبت علم التشريح أن هرمونات الذكورة والأنوثة موجودة في كل من الرجل والمرأة، لكن نسبة هرمون الأنوثة تزيد في المرأة، ونسبة هرمون الذكورة تزيد في الرجل؛ وهذه النسب تختلف باختلاف مراحل النمو وباختلاف الأفراد، وهذا التمايز ينعكس على الناحية النفسية والعاطفية والوجدانية للجنسين(١).

يقول أحد العلماء في التمايز البيولوجي بين الجنسين: إن الجهاز المخي والعصبي يصبح أكثر عرضة للإصابة بالخلل كلما كان أكثر تطوراً لأنه يصبح أكثر حساسية، ولذلك فإن المرأة تتمتع بقدرة أكبر على التحمل لأن جهازها المخي والعصبي أقل تطوراً. ولكن من المعروف أن المرأة تتعرض لظروف قاسية ولاضطرابات نفسية بسبب الدورة الشهرية وانقطاع الطمث والحمل والولادة والأمومة.

أما أصحاب المدرسة الثقافية والاجتماعية فينطلقون في فهم شخصية المرأة اعتماداً على طبيعة الوسط الذي تنتمي إليه، وما يحيط بها من قيم ومعايير وعادات ومعتقدات، وكيف يؤثر الجانبان الاجتماعي والثقافي في تغيير الإستعدادات العضوية والفسيولوجية للمرأة خلال مراحل النمو المختلفة.

---

(١) Royer (p): 18 leçons sur la biologie du développement humain 1975, Ed Fayard, Paris.

إن علم النفس التحليلي وعلم البيولوجيا وعلم الطب التشريحي يعتبر أن المرأة هي دون الرجل على المستويات النفسية والفكرية والبيولوجية، وهذه الدونية مردّها إلى طبيعة تكوينها البيولوجي والفسيولوجي. يقول أحد علماء البيولوجيا:

إن التمايز البيولوجي بين الذكر والأنثى يعود إلى الاختلاف في الكروموسومات[١]. إن الإنسان الطبيعي يملك نوعين من الكروموسومات: الإناث عندهن كروموسومات مزدوجة (X X)، والذكور لديهم (X Y). إن الأشخاص الذين يفتقدون الكروموسوم الذكري «Y» يقودهم نموهم التشريحي إلى أن يصبحوا إناثاً، كما أن سلوكهم في الحياة يكون أنثوياً[١].

في حين أن أصحاب المدرسة الثقافية ينطلقون في تفسيرهم لدونية المرأة من نظام القيم والمعايير والعادات وأساليب التنشئة والتربية التي تفرق بين الجنسين.

أما الإسلام فإنه ينطلق في فهمه لشخصية المرأة من الشريعة الإسلامية (القرآن والسنة وصحيح الحديث). إن الإسلام لا يميز بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات في الدنيا والآخرة. فقد سوَّى الإسلام بين المسلم والمسلمة في التكاليف العامة من إيمان بالله واليوم الآخر وصلاة وزكاة وحج وجهاد وطاعة لله ورسوله، وفي واجب التواصي بالخير والرحمة والصبر والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتضامن والتزام الأخلاق الحسنة، وتجنب نقيضها وتحديد ما ينتج عن ذلك من عقوبات وجزاء في الدنيا والآخرة.

لقد قرر الإسلام للمرأة المسلمة الأهلية التامة والحق الكامل في مختلف التصرفات المدنية. إن المرأة المسلمة كالرجل المسلم لها الحق في النشاط السياسي والاجتماعي وفي تعلم مختلف العلوم والفنون، وفي ممارسة مختلف الأعمال والحقوق والحريات التي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

---

(١) ERCCSSON (R.j): Les spermatozoides «X et Y», Contraception, fertilité, sexualité, 1977, No 81, P, 655.

(٢) Centre royaumont pour une science de l'homme. «Le fait Féminin» Fayard, 1978, P. 31.

ولكن البعض يعتقد أن الإسلام يميز بين حقوق الرجل والمرأة خصوصاً فيما يتعلق بالشهادة ونظام الإرث والقوامة. وقد ورد في الآية الكريمة: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلَّ إحداهما فتُذكر إحداهما الأخرى﴾**.

[البقرة: ٢٨٢].

وأنه جعل حظ الذكر في الإرث مثل حظ الأنثيين كما ورد في الآية الكريمة:

﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

[النساء: ١١]

وجعل القوامة للرجال على النساء في الآية الكريمة: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾**.

[النساء: ٣٤]

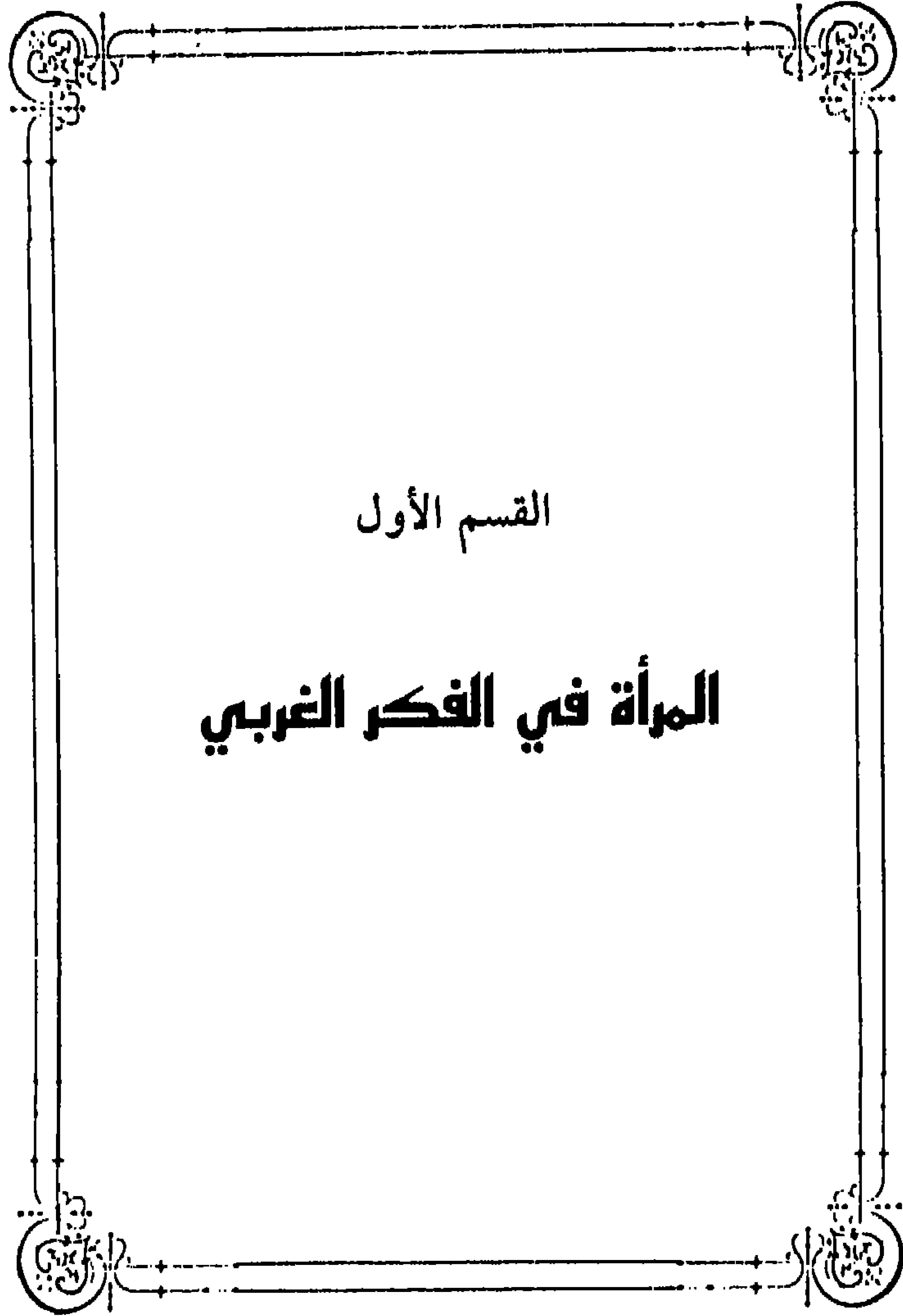
إن الإسلام لم يميز بين الرجل والمرأة في نظام الشهادة حيث يعتبر البعض هذه الآية دليلاً على نقص عقل المرأة. ولكن إذا تعمقنا في روح الآيات نجد أن الإسلام جعل شهادة المرأتين معادلة لشهادة رجل واحد لِمَا يمكن أن يطرأ على المرأة من ذهول ونسيان بسبب المشاكل البيتية والزوجية.

أما بالنسبة إلى قوامة الرجل على المرأة ونظام الإرث فليس المقصود منه إعلاء شأن الرجل والتقليل من قيمة المرأة. ولكن روح الآيات تكشف لنا أن السواد الأعظم من النساء يفضلن الحياة الزوجية والأمومة والاهتمام بالأطفال وتدبير شؤون البيت. إن معنى ذلك أن الإسلام لا يمنع المرأة من التعلم والتثقف والجهد في سبيلهما لأن ذلك يرفع من قيمتها ويزيد في فهمها للحياة، كذلك فإن الإسلام لا يمنع المرأة من ممارسة نشاطات عديدة سياسية واجتماعية. ولكن الإسلام يحذر أن تخل هذه الأعمال إخلالاً جوهرياً بوظيفة المرأة الأساسية في الاهتمام بالزوج والمنزل والأولاد لأن ذلك يخرج من صفة المشروع ولو كان في حدّ ذاته مشروعاً.

سوف نحاول أن نلقي الضوء عن طبيعة المرأة في الفكر الغربي إعتماداً على التكوين الفيزيولوجي، وكيف يؤثر في الحياة النفسية الداخلية للأنثى خلال مراحل:

(الحياة الجنسية، اللذة الجنسية، الحمل، الإنجاب، الأمومة).

كذلك فإننا سوف نحاول إلقاء الضوء عن نظرة الإسلام إلى المرأة في الميادين المتعددة. لقد انطلق الإسلام في تفسير شخصية المرأة من خصوصيتها وطبيعتها الجنسية والفسيولوجية بأسلوب قوي رائع، مستهدفاً حمايتها وتنظيم مركزها في الأسرة والحياة الزوجية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.



القسم الأول

المرأة في الفكر الغربي

التكوين الفسيولوجي للمرأة وتأثيره في النمو النفسي

١ ـ التمايز الجنسي وتأثيره النفسي في المرأة خلال مرحلة ما قبل البلوغ :

أظهر عالم النفس «فرويد» في كتابه «ثلاث مقالات في النظرية الجنسية»[١] الركائز الأساسية للتحليل النفسي. إنطلق «فرويد» في أبحاثه من ملاحظة المرضى في العيادة، وتوصّل إلى فهم حالتهم النفسية، واستنتاج القوانين التي تؤثر في النمو النفسي ـ الجنسي للطفل. استنتج «فرويد» أن كشف نفسية الطفل بواسطة التحليل النفسي هو الأساس في فهم شخصية الإنسان الناضج.

حسب «فرويد» فإن المرحلتين الأوليين لنمو الطفل على الصعيد النفسي ـ الجنسي هما:

أ ـ المرحلة الفمية:

هي المرحلة التي يرتبط بها الطفل بثدي الأم من خلال الرضاعة. اعتبر فرويد أن الرضاعة ذات قيمة جنسية وهي تسترعي كل انتباه الطفل. إن الحاجة إلى المص تبدو مستقلة عن الحاجة إلى الغذاء ويظهر ذلك في مص الولد إبهامه خارج الرضعات.

ب ـ المرحلة الشرجية[١]:

تبدأ هذه المرحلة بعد فطام الطفل، حيث يهتم الولد بالبراز. إن التبرز يثير المنطقة الشرجية المغلمة مما يحدث شعوراً باللذة.

---

(١) فرويد: «ثلاث مقالات في نظرية الجنسية» ترجمة مصطفى زيور، دار المعارف بمصر ص ٢٣ ـ ٢٤.

هاتان المرحلتان تتشابهان على الصعيد البيولوجي والنفسي عند الذكر والأنثى، لأنهما عبارة عن دوافع سلوكية تهدف إلى الإشباع الغريزي[١].

أما التمايز بين الذّكر والأنثى، خلال المرحلتين الأوليين للنمو فيستدل عليه بالملامح الخارجية. ويزداد التمايز النفسي وضوحاً، ويبلغ ذروته خلال المرحلة التي ندعوها «المرحلة القضيبية».

لاحظ فرويد أن الدوافع الغريزية في هذه المرحلة تخضع للتركيز على المناطق التناسلية، وإن العضو التناسلي الذكري هو الذي يسترعي اهتمام الصبيّ والبنت. ويعتقد الصبيّ أن غياب القضيب عند البنت يعود إلى قصاص خيالي للأهل[٢].

يساهم التمايز الوظيفي بين الجنسين التناسلية في تكوين الذكر النفسي، إذ إن الصبي خلال هذه الفترة من العمر (٣ ـ ٥) سنوات يبدو مغروراً بنفسه، وهذا الغرور يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالعضو الذكري.

نلاحظ عند الفتاة مظاهر إنفعالية معقدة ناتجة عن فقدانها للقضيب. ومظاهر الذكر والأنثى الانفعالية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأعضاء الجنسية هذا ما يسمى عادة «بعقدة الخصاء عند البنت».

إن عقدة الخصاء، حسب فرويد، تدل على الخوف اللاشعوري من فقدان الأعضاء التناسلية عقاباً على قيام الفرد ببعض الأفعال الجنسية المحرمة أو شعوره ببعض الدوافع الجنسية تجاه موضوع محرم.

أما عند الصبي فيوجد «عقدة أوديب» إذ يدخل الطفل الذكر (بين سن الثالثة والخامسة) المرحلة القضيبية ويشعر باللذة إذائها في اللهو بعضوه. ويرتبط الطفل خلال هذه الفترة بالأم ويتمنى أن تكون له جسدياً. وتتكون لديه هواجس خيالية في

---

(١) د. فؤاد خيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٠ ص ٦٤.

(٢) فرويد، ترجمة جورج طرابيشي، «محاضرات جديدة في التحليل النفسي» دار الطليعة، بيروت، ص ١٤٩.

الانتقام من الأب الذي ينافسه على لأم. إن البنت خلال هذه المرحلة تحسد الصبي على امتلاكه القضيب(١).

لكنّ «كارين هورني» تعتقد أن البنت الطبيعية لا تحسد الولد بسبب امتلاكه عضو التناسل ولكن بسبب المميزات الاجتماعية والحرية التي يتمتع بها، وأنها لا تهرب من أنوثتها وتتمنى أن تكون ذكراً لتحصل على هذا العضو، وإنما لتحصل على تلك الميزات الاجتماعية والحرية التي يتمتع بها الصبي.

يهتم علم نفس الطفل بتكيف الطفل مع الواقع وما يرافق نموّه من مظاهر الانفعال والذكاء. وهنا تبرز أهمية علم النفس التحليلي. إنه يكشف العلاقة بين النمو النفسي والدوافع الجنسية(٢).

الفضول الجنسي عند الولد يبلغ ذروته خلال المرحلة التي تدعى المرحلة القضيبية.

تفاعل الولد مع البيئة الإجتماعية، فضلاً عن تأثير التربية والتنشئة والمدرسة يجعله يكبت الاهتمام بالأمور الجنسية. هذه المرحلة تسمى «مرحلة الكمون الجنسي»(٣) حيث يكبت فيها الصبيّ أو تكبت البنت المشاعر الجنسية تجاه الوالد من الجنس الآخر. ويعتقد فرويد أنه خلال هذه الفترة يتكون الأنا الأعلى (الضمير) حيث يتخذ الصبي من والده المثال الأعلى، وتتخذ البنت من أمها النموذج الذي يجب أن يحتذى. إن الطفل، خلال هذه الفترة، يمتص القيم الخلقية والسلوكية للوالد من نفس الجنس.

إن المدرسة التحليلية في علم النفس تعتبر أن النشاط الاجتماعي والفكري للفرد يعود في جذوره إلى الغرائز الجنسية، وبقدر ما تزداد مرحلة الكمون يزداد اهتمام الطفل بالواقع وتزداد رغبته في التكيف الاجتماعي دون أن يلغي ذلك الاهتمام بالأمور الجنسية.

---

(١) Antenello, «Freud et l'éducation» P. 85.

(٢) أولسون، مريلاود، ترجمة إبراهيم حافظ، تطور نمو الأطفال، القاهرة، عالم الكتب ١٩٦٢.

(٣) Dolto Françoise: «Lorsque l'enfant parait» Tome 3, Paris. Seuil 1969.

إن الاهتمـام بالأمـور والمواضيـع الجنسية يسـاهم إلى حدٍّ كبيـر في نموّ شخصية الطفل، وتسهم التربيـة والتنشئة الإجتمـاعية في نمـو الجانب الـواعي والإرادي والمدرك من الشخصية من خلال صدّ الرغبات والدوافع الجنسية.

إن أهمية المدرسة بالنسبة إلى الولد في هذه المرحلة تأتي من الفرضية التي تعتبر أن الواجبات المدرسية تفرض على الـولد أن يتسـامى بالـطاقة الجنسيـة. وللمعلم في المدرسة دور أساسيّ في تنمية شخصيـة الولـد، خصوصـاً المعلم الذي يظهر التعاطف والتفاهم لأنه يخفف من الصراع الداخلي للولد، ويساعده على التكيف والتطبع بالنظام والقانون والعادات الإجتماعية، حيث مواضيع الجنس يُستبدل بها تعلّم الكتابة والقراءة والتلوين وتنمية المشاعر العاطفية والوجدانيـة، والاهتمام بالنشاطات الرياضية[1]. علينا أن نشير إلى أن مرحلة الكمون أو مرحلة ما قبل المراهقة تقع في الفترة الممتدة بين (١٠ ـ ١٢) سنة، دون أن ننسى أن مظاهرها تستمر حتى مرحلة المراهقة. إن الشخص البالغ يحمل في شخصيتـه سمات الطفولة، وهذه السمات ترافق الفرد خلال مراحل نموه المتعددة: المراهقة الشباب، الشيخوخة عند الأنثى، تعتبر بداية ظهور الطمث، الحدود التي تفصل بين مرحلة ما قبل المراهقة ومرحلة المراهقة.

تجـدر الإشارة إلى أن مـرحلة الطمث لهـا تأثيـر عميق في النمو النفسي لـلأنثى. إن الترابط وثيق الصلة بين المـظاهر الفسيـولوجيـة والحالات النفسيـة الداخلية. لكن بعض الفتيات يصلن إلى مرحلة الطمث دون أن يرافق ذلك نمو موازٍ على الصعيد النفسي، والبعض الآخر ينضجن على الصعيد النفسي دون أن يقابل ذلك بروز السمات الجسدية الموازية لهذا النمو.

بالنسبة إلى موضوع انقطاع الطمث، فإنا نلاحظ أن بعض النساء، يحتفظن بشبـابهن وحيويتهن، على الـرغم من العجز على الصعيـد الفسيـولـوجي (سن اليأس). أما البعض الآخر من النساء فإنهن، إذا بلغن سن اليأس، يعـانين من اضطرابات نفسية وحالات من الحزن والكآبة، يعتبر الأطباء أن حالة الاكتئـاب

(١) E. P Dulit «Psychologie et épistomologie génétiques, Dumond, Paris 1966, P. 42.

التي تصيب النساء بعد سن الأربعين ليست إلا بسبب اضطراب الهرمونات نتيجة لانقطاع الطمث[1].

إن مظاهر النشاط والحيوية التي يمتاز بها الولد خلال مرحلة ما قبل البلوغ، تؤثر في نمو قدراته الفكرية والإبداعية خصوصاً فيما يتعلق بالطموح والخيال والتماهي، مصدر الطاقة عند الولد، يكمن في تطور «الأنا»[1] والميل نحو الإستقلالية.

قسم فرويد الجهاز النفسي في الشخصية إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ **الهو:** يتكون من الغرائز، ويسعى لتحقيق اللذة، فلا تحكمه قوانين الفكر، ولا يعرف القيم الإجتماعية. ويكوّن الهو الجزء الأكبر من اللاشعور، ولا يمكن الوصول إليه إلا من خلال التحليل النفسي.

ب ـ **الأنا:** يحاول هذا الجزء تنظيم العمليات النفسية وضبطها وإخضاعها لحكم العقل. فالأنا جزء من الهو. ولكنّه ذلك الجزء الذي تعدل نتيجة التفاعل مع العالم الخارجي. ويتضمن الأنا العمليات الفكرية والإدراكية.

ج ـ **الأنا الأعلى:** يتكون الأنا الأعلى من القيم والمعايير والمعتقدات الأخلاقية والدينية التي يكتسبها الفرد بواسطة التربية والتنشئة. إن الأنا الأعلى أشبه ما يكون بالضمير.

٢ ـ التماهي وتأثيره في النمو النفسي لشخصية المرأة

يحتاج الكائن الحي، منذ نعومة أظفاره، إلى إنجاز عمل ما، وتزداد مظاهر الحيوية والنشاط خلال مرحلتي البلوع والمراهقة. والفتاة تعيش في عالم يترجّح بين الماضي والمستقبل، بين الطفولة والمراهقة، عندما تناهز الأنثى الحادية عشرة من عمرها، يظهر عندها إحساس متزايد بالمسؤولية والاستقلالية، بسبب تراجع حدّة الحاجات العاطفية والوجدانية التي كانت تميز مرحلة الطفولة، حيث كانت

(١) Le fait Féminin, OP, Cit. P. 319.

(٢) راجع: د. فؤاد حيدر، الشخصية في الإسلام، مرجع سابق ص ١١ ـ ١٢.

الطفلة تسعى بألحاح إلى تحقيق هذه الحاجات والرغبات. إن تضاؤل مظاهر الخيال الطفولي له أهميته في النمو النفسي ـ الإنفعالي للأنثى. فالفتاة خلال مرحلة المراهقة، تسعى للتفتيش عن مواضيع جديدة، خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الحب، والاهتمام بالأشخاص الذين يتمتعون بالجاذبية، والابتعاد عن الأشخاص الذين يثيرون فيها النفور والكراهية.

إن الشخص الذي تميل إليه الأنثى وتنجذب إليه، تحاول أن تقلده وتتماهى فيه. تسعى الفتاة خلال هذه المرحلة أن تظهر بمظهر الناضج والواعي، إنها تكافح باستمرار لإشباع هذه الحاجة، مما يجعلها أحياناً تعاني التعب والإرهاق. إن الفتاة تعاني خلال هذه المرحلة الشعور بعدم الأمان وعدم الثقة، مما يدفعها بشكل لا واعٍ إلى التصرف كطفلة مدلّلة حتى تثير أعجاب الأهل.

إن العالم الخارجي؛ بما يتضمنه من ضغط القيم والمعايير والتقاليد، يجعل الفتاة تشعر بالعدوانية تجاه الوسط المحيط، وهي تبذل جهداً كبيراً للتكيف مع هذا الوسط، وعندما تشعر بالتوتر والتعب تسعى للابتعاد عن هذا الواقع وتميل إلى العزلة والخيال.

إن نمو «الأنا» في الأنثى، خلال التحرر والاستقلالية عن سلطة الأهل، يؤدّي دوراً مهماً في تهدئة الدوافع العدوانية، وما تتميز به الأنثى خلال هذه المرحلة من الحيوية والنشاط يساعدها على مواجهة العالم الخارجي مما يساعد على زيادة قوة «الأنا» ويجعلها تتصرف بشكل لائق ومقبول.

إن النمو النفسي للفتاة خلال هذه المرحلة يختلف باختلاف الوسط الاجتماعي والثقافي والعائلي.

لكي نفهم شخصية الأنثى خلال مرحلة ما قبل البلوغ، سوف نشير إلى مفهوم أساسي من مفاهيم علم النفس وهو «موضوع التماهي»[1] وتأثيره الهام في النمو النفسي للأنثى.

---

(١) إن التماهي أو التوحد عملية لاشعورية يكتسب بها الشخص خصائص شخص آخر تربطه به روابط إنفعالية قوية. فالطفل يتوحد بالأب، والبنت تتوحد بالأم، حتى يكسبا رضا الأهل.

أظهرت الأبحاث والتجارب في علم النفس التحليلي، أن الأنا الضعيف، يدفع الأنثى إلى التماهي في الأشخاص الكبار والأقوياء في سبيل التكيف مع الواقع. إن الولد الذكر يحاول أن يسيطر على المخاوف والقلق من خلال التماهي بالتخيلات التي ترمز إلى القوة[1]. ولقد أظهرت الأبحاث في علم النفس أن تماهي الصبي الذكر بالأم يؤدي إلى انحراف شخصيته وتكوين الميول الأنثوية لديه، في حين أن تماهي الأنثى بالأب يؤدي إلى بروز سمات الخشونة والرجولة عندها.

إن موضوع التماهي عند الطفل خلال مرحلة ما قبل البلوغ يتأثر إلى حدٍّ كبير بنمط تفاعل الطفل داخل الأسرة وعلاقته بالأهل. واختيار موضوع التماهي للأنثى خلال مرحلة ما قبل البلوغ لا ينفصل عن مراحل النمو السابقة. أما سلوك الأم وسماتها الشخصية ونمط تفاعلها مع البنت فإنها ذات دور أساسي في عملية التماهي[2].

فالأم التي تهمل بيتها وزوجها وأولادها وتقضي معظم الوقت خارج المنزل، تخلق مناخاً من التوتر داخل الأسرة، مما يدفع البنت إلى التماهي في موضوع الحب يختلف عن الأم. والأمر كذلك بالنسبة إلى الأب الذي لا يهتم بأسرته ولا يعيرهم الإهتمام الكافي ويستعمل أساليب التربية القمعية الظالمة، فإن هذا الأب يدفع الولد إلى التماهي في موضوع الحب يختلف بسماته عن أبيه الذي لم يعد يمثل في نظره النموذج الأمثل والصالح للاحتذاء به.

الإختلاف في مواضيع التماهي يمكن ردّه إلى الحالات النفسية ومظاهر الصراع الداخلي التي يعاني منها الطفل. إن شعور الولد بالأمان وإحاطته بالعطف والحنان، تجعل موضوع التماهي عنده يختلف عن موضوع التماهي للولد الذي يعاني الكبت ومشاعر الكراهية والعدوانية، مما يجعل الطفل يتماهي في موضوع يتميز بالسمات العدوانية[3].

---

(١) د. فؤاد حيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، مرجع سابق ص ٥٧.

(٢) Anna Frend, Initiation à la psychanalyse, Paris, Privat, 1969.

(٣) فرويد، محاضرات جديدة في التحليل النفسي، مرجع سابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

إن الطفل يسعى إلى تغيير مواضيع التماهي بهدف تحقيق «الأنا» الذي يحقق له الشعور بالاستقلالية.

إن تغيير مواضيع التماهي، نلاحظه عند الأنثى خلال المرحلة التي تبدأ فيها بتوجيه النقد إلى الأهل، وخصوصاً نقد الأم. إن الفتاة التي تنتقد الأهل داخل البيت، تسعى لأن تتحدث عنهم خارج البيت كأشخاص يتميزون بالاحترام والتقدير والأهمية، وتروي عنهم قصصاً من نسيج الخيال؛ والهدف من ذلك هو إعادة تقويم الأهل ورسم صورة لهم مختلفة عن الصورة التي رسمتها عنهم داخل البيت. وميل الفتاة، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، إلى سرد القصص الخيالية، ولا سيما فيما يتعلق بموضوع الأهل، يعتبر وسيلة للهروب من الواقع. كما أنه يعتبر وسيلة لتحقيق الإستقلالية والتخلص من مواضيع التماهي السابقة[1].

إن الأنثى، خلال هذه المرحلة، تحاول أن تقارن بين أهلها وأهل صديقتها، إنها تروي أمام الأهل قصصاً مبالغاً فيها عن عائلة صديقتها، إنها تسرد مواضيع مثيرة للإعجاب والدهشة، دون أن تشير إلى أية سمة من سمات الدونية لدى أهل الصديقة. نرى خلال هذه المرحلة، أن الفتاة تشعر بالانجذاب والإعجاب بإحدى معلمات المدرسة، إنها ترى في صورة المعلمة التجسيد للأنا عندها. إنها تضفي على المعلمة السمات الحسنة التي ترغب بها وتشعر أنها بحاجة إليها.

إن الفتاة خلال هذه المرحلة، تحاول، بشكل لا واعٍ، أن تظهر أنها مستقلة عن الأم، وأن رأيها لا يمثل رأي الأم وأنها تختلف معها، على الرغم من أن الأم قد تتميز بسمات أكثر تفوقاً من المعلمة، فإن الفتاة تظهر ميلا إلى تفضيل المعلمة.

هنا نتساءل عن السبب الذي يدفع الأنثى إلى تفضيل المعلمة على الأم؟

الجواب عن ذلك يكمن في أن علاقة الفتاة بالأم هي علاقة عاطفية تتميز بتبعية الفتاة للأم، في حين أن الانجذاب إلى المعلمة هو آلية تسعى الفتاة من خلالها للتخلص من مشاعر التبعية الطفولية للأم.

---

(١) Feif J. Juif. J. «Psychologie et éducation, tome 4, Paris, Feranand Nathan 1974.

إن الفتاة، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، تعاني من ضغط العلاقة مع الأم. هذه المعاناة تظهر بسبب ارتباط الأم بالأب.

إن الأم تمثل للفتاة الحاجز الذي يمنعها من تحقيق رغباتها. وقد نرى أحياناً بعض النساء يظهرن في سلوكهن بالمظهر الطفولي، ومَرَدّ ذلك حسب علم النفس التحليلي إلى رغبة في تثبيت صورة الأم خلال مرحلة ما قبل البلوغ، وعدم القدرة على التخلي عن الأم كموضوع للتماهي والفشل في التماهي في موضوع آخر للحب. إن التماهي في موضوع يختلف عن الأم يمثل للفتاة، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، تطوراً وتقدماً على صعيد النمو النفسي، مما يسمح للفتاة خلال هذه المرحلة بتكوين نماذج جديدة من القيم الإجتماعية والمعايير الخلقية، خصوصاً إذا كان موضوع التماهي الجديد أكثر تطوراً وتقدماً من موضوع التماهي السابق.

الشيء الذي نلاحظه عند الفتاة خلال هذه المرحلة والمثير للتساؤل والإعجاب هو: لماذا تتماهى الفتاة أحياناً بشخصٍ يتميز بسلوك مثير للنقد الاجتماعي؟

الجواب عن ذلك، يكمن في أن الفتاة قد تختار موضوعاً للتماهي كردّة فعل ضد الأم، وبشكل لا واعٍ للأم التي ترتبط بعلاقات جنسية بالأب؛ والفتاة، في سبيل التخلص من الشعور بعلاقة التبعية للأم قد تندفع إلى التماهي بموضوع يبدو مغايراً بسماته لشخصية الأم، مما يثير استغراب الأم وتعجبها(١).

إن تفاعل الفتاة مع الأهل، خلال مرحلة ما قبل البلوغ يؤدي دوراً مهماً في مساعدة البنت على البلوغ والنضج. فالفتاة تحاول خلال مراحل النمو المختلفة، أن تظهر بمظهر الفتاة الواعية والناضجة. وفي سبيل بلوغ ذلك نراها أحياناً تتصرف بسلوك مشابه لسلوك الصبي. إن تقليد الذكر لا يكون فحسب على المستوى النفسي ولكنه أيضاً تقليد على مستوى المظاهر الخارجية. وهذا الوضع يجعل الفتاة تشعر أحياناً بالنفور من الأخت الأكبر سناً التي لا يمكنها الاعتماد عليها، وأحياناً أخرى تنظر إلى أختها الأكبر سناً نظرة الصديقة المثالية.

---

(١) فرويد، محاضرات جديدة في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

إن فشل الأخت الكبرى في أن تكون الصديقة المثالية لأختها الأصغر سناً، يدفع الفتاة إلى التماهي في المعلمة أو أية شخصية تنظر إليها نظرة مثالية جديرة بالاحترام والاحتذاء.

لكنّ علاقة الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ بفتاة أخرى أكبر منها سناً، وأكثر بلوغاً، لا يخلو من المحاذير لأن الفتاة الأكبر سناً قد تكون الأكثر نضجاً وبلوغاً على المستويين الجسدي والنفسي، مما قد يدفع الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ إلى أن تقوم بأفعال وتصرفات ليست مهيئة لها ولا تنسجم مع سنها على المستويين النفسي والجسدي.

كما أنّ فشل الفتاة خلال هذه المرحلة في التماهي في مواضيع من الواقع قد يدفعها إلى التماهي في شخصيات خيالية تستمد صورها من شخصيات القصص أو المسلسلات التلفزيونية أو الأفلام السينمائية.

لذلك فإنّ مواضيع التماهي خلال مرحلة ما قبل البلوغ تعتبر مهمة على صعيد النمو النفسي والفكري للفتاة. إن مواضيع التماهي تشكل بالنسبة إلى الفتاة آليات دفاعية تساعدها على مواجهة المواقف الحرجة والصعبة والشاقة، بحيث تتصرف في هذه المواقف كما تتصرف شخصياتها المفضلة التي كانت قد تماهت بها سابقاً سواء أكانت من عالم الواقع أم من عالم الخيال، مما يخفف عنها التوتر الناتج وحالات الصراع النفسي الداخلي.

إن الأشخاص الذين يعانون انفصام الشخصية قد يعانون حسب التحليل النفسي من الإنحراف السلوكي بسبب غياب موضوع التماهي لديهم.

يعتبر موضوع التماهي حتى على المستوى الخيالي آلية دفاعية مهمة تساعد على توزان الشخصية وإزالة التوتر والقلق لأنه يعكس صورة عما يرغب به الشخص في المستقبل. يذكرنا هذا بوضوح بالألعاب التي يقوم بها الأطفال. إن لعب الأطفال يعكس الرغبات اللاواعية في ما سيكونون عليه في المستقبل. إن اللعب بالنسبة إلى الطفل هو حسي، وواقعي وحقيقي وليس مجرد لعب خيالي، لأن اللعب يظهر التوازن بين التخيلات والواقع. إنه يجعل الولد قادراً على تحمل

وضعه الحقيقي والواقعي عندما يعجز عن تغييره[1].

وخلال مرحلة ما قبل البلوغ، تشعر الفتاة برغبة داخلية في الظهور بمظهر المستقلة برأيها وخياراتها، مما يدفعها إلى السعي لتوكيد الذات من خلال التفاعل مع الواقع بطريقة واقعية وموضوعية، كما أنها تحاول جاهدة، اختيار الكلمات والتعابير التي تنسجم وتتلاءم وتتوافق مع الموقف الحقيقي أو الذي تتوقعه؛ وهذا الشعور يدفعها أحياناً للتصرف بطريقة غريبة مثيرة للدهشة.

لنأخذ مثلاً حالة الفتاة التي تبلغ من العمر حوالي اثني عشر عاماً، إنها تستعد للمرة الأولى لحفل خاص دعت إليه الأصدقاء والصديقات. وخوفاً من الشعور بالقلق والدونية نراها تتصرف كامرأة ناضجة (التماهي بالمرأة) وذلك يبرز من خلال تسريحة الشعر، والتطرية، والجلوس أمام المرآة، والقيام بحركات شبيهة بحركات النساء؛ إنها ترغب في إثارة إعجاب جميع المدعوين حتى لا يروا غيرها في الحفل، إنها ترغب في أن تخلب قلوب الفتيان بمظهرها الخارجي وأناقتها وحركاتها الرشيقة وابتسامتها الساحرة. إنها ترغب في أن تظهر بمظهر الأنثى الخارقة الجمال.

٣ ـ ميل المرأة إلى الأسرار

من مظاهر استقلالية الفتاة وتوكيد ذاتها وعدم شعورها بالتبعية، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، ميلها إلى الأسرار، فالفتاة خلال هذه المرحلة تشعر برغبة قوية في معرفة أسرار الآخرين؛ ولذلك نراها تسعى جاهدة لاكتناه أسرار الحياة الخاصة للأشخاص الذين تعرفهم أو الذين يحيطون بها. وهي في الوقت ذاته، تحاول أن تحيط شخصيتها بالأسرار. لكنّ السرّ لا يشبع دافع الفتاة إلا إذا تقاسمته مع صديقتها المخلصة التي غالباً ما تكون فتاة من أترابها. إن حاجة الفتاة إلى الأسرار في هذا العمر، تعتبر آلية دفاعية إزاء الكبار.

إن رغبة الفتاة إلى الأسرار، يمكن ردّها إلى الميل إلى الإنتقام، الانتقام من الأم أو الأقارب الأكبر سناً، الذين كانوا يخفون عنها بعض الحقائق أو الذين كانوا

---

(١) Psychologie et éducation, OP, Cit, P.63.

يبعدونها خلال الحديث لاعتبارها طفلة صغيرة؛ لذلك فإنها تحاول أن تظهر بمظهر الناضجة من خلال تكوين عالم خاص بها من اسرار. إنها تحاول أن تكون معرفتها بالأسرار محصورة فيها فقط. وهي تعبّر عن هذه الرغبة بالقول للشخص الـذي تودعه السرّ:

«أنت الشخص الوحيد الذي أخبره السرّ».
«أقسمي أن لا تخبري أحداً».
«أقول لك هذا السر لأنني أثق بك جداً».
«أنتِ الصديقة الوحيدة التي أعتبرها مخلصة».
علماً بأنها تسعى كي تخبر بالسر أوّل شخصٍ تقابله.

هذا الميل إلى الأسرار يجعل الفتاة تهتم بمواضيع الحب والزواج والحمل والولادة. إنما الفتاة خلال هذه المرحلة تكبت تصوراتها الخيـالية عن مـوضوع الحمل لأنه يجعلها تعاني القلق والشعور بالاضطراب.

لكنّ الفتاة تحاول أن تستبدل موضوعي الحب والجنس بموضوع الحمل. إنها تتكلم عن موضوع الحمل بأسلوب ساخر وهزليّ، تلعب فيه دور المرأة الحامل مع صديقتها في غرفة بعيدة عن مراقبة الأهل، ويتمّ لعب الدور بإدخال الوسادة تحت الثياب. إن لعب هذا الدور كشف آليات التماهي، لأن البنت من خلال لعب دور الأم تكشف عن نمط الصراع الداخلي اللاواعي مما يؤمن لها نوعاً من الشعور بالراحة والاطمئنان.

رغبة الفتاة في تقصيّ الأسرار تقودها إلى اكتشاف موضوع جديد هو «البغاء» الذي يثير خلال مرحلة ما قبل البلوغ فضول الأنثى. إنها ترغب أن تسمع أو أن تروي أو أن تقرأ القصص الخيالية حول هذا الموضوع، إنها تسعى أحياناً للعب الدور مع صديقتها من خلال استعمال مساحيق التجميل وأحمر الشفاه والكحل وإرتداء الملابس الضيقة والشفافة التي تظهر مفاتن الأنوثة، وترخي بعدها العنان للتصورات الخيالية. إن لعب هذا الدور يستمر خلال مرحلة المراهقة، لكنه يأخذ شكلاً جديداً تمثّل فيه إحدى الفتيات دور الذكر وتقوم الأخرى بدور الأنثى، وقد

تشعر الصديقتان أحياناً بالحرج والخجل خلال لعب الدور، فتسعيان لأن ينتهي لعب الدور بشكل هزليّ ساخر حتى لا يثير فيهما الخوف والارتباك. لعب هذا الدور وما يمثله من مظاهر التمثيل الجنسي قد يأخذ خلال مرحلة المراهقة شكل النمط السادي ـ المازوشي[1] مما يؤثر في صعيد العلاقات العاطفية للفتاة المراهقة بالجنس الآخر، إنها تسعى أحياناً إلى تعذيب موضوع الحب وأن تحطم قلبه بحبها كي يزداد تعلقاً بها كالمجنون.

٤ ـ مفهوم الصداقة بالنسبة إلى المرأة

إن علاقات الصداقة خلال مرحلة ما قبل البلوغ قد تستمر أحياناً مدى الحياة، ويبقى تأثيرها إما بشكل واقعي وإما بشكل خيالي لا واعٍ. لكنّ تماهي الفتاة في صديقتها الأكبر منها سناً والأكثر نضوجاً وبلوغاً قد يؤدي أحياناً إلى نتائج سلبية خصوصاً إذا كانت صديقتها تنتمي إلى وسط إجتماعي وعائلي سيء.

الهوامات الخيالية للفتاة بأنها ناضجة على الصعيد الجنسي يدفعها إلى القيام بسلوك منحرف من خلال التخلي عن لعب الدور الجنسي البريء مع صديقتها، والسعي لإقامة علاقات جنسية غير واعية مع الجنس الآخر.

إن ما تعانيه الفتاة، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، من تأخر النمو النفسي بسبب الوسط الاجتماعي الذي تنتمي إليه أو نمط العلاقات داخل الأسرة، خصوصاً علاقة البنت بالأم أو الأب أو الأخت الكبرى، وعدم التكيف النفسي، يؤدي إلى ظهور الهوامات العدوانية تجاه الأهل مما يجعلها تشعر بعقدة الذنب

---

(١) أشيع أن الرجل يميل إلى السادية في الجنس، وأن المرأة تميل إلى الماشوسيه.

*) السادية اصطلاح عرف في علم النفس بأنه نوع من الانحراف الجنسي بسبب أن اللذة الجنسية لا تحدث إلا بعد إحداث ألم بالشخص الآخر والماسوشية هي أن تحدث اللذة بعد استقبال الألم الذي يحدثه الشخص الآخر. وقد جاءت كلمة «السادية» من اسم الماركيز «دي ساد» الذي عرف في التاريخ بميله الشديد إلى حب العدوان والسيطرة ورغبته باللذة من خلال إحداث الألم بالآخرين.

*) أما كلمة «الماشوسيه» فقد جاءت من اسم رجل آخر هو «ساشر» «ماسوش» الذي عرف بميله إلى رغبته باللذة من خلال استقبال الألم والخضوع للآخرين.

وتأنيب الضمير وينجم عن ذلك اضطراب النمو النفسي لشخصية الفتاة الذي يؤدي إذا استمرّ إلى نشوء العصاب النفسي(١).

خلال مرحلة ما قبل البلوغ، تتميز علاقة الفتاة بـالجنس الآخر بـالبراءة، وتكون الصداقة خالية من الطبيعة الجنسية. أما الصبي فإنه يبدو مغروراً برجولته وطاقته الجنسية. إن الصبي المراهق يعاني من الهوامات الخيالية أن علاقته بالفتاة قد تؤدي إلى اضعاف ذكورته ويخشى الظهور بالمظهر الأنوثي. الفتاة في سبيل توكيد الذات أمام غرور الصبي تظهر عدم الإهتمام بالجنس الآخر إنها تعبر عن ذلـك بقولهـا: «إنه لا يهمني ولا يعنيني بشيء»، لكنهـا على المستوى النفسي الداخلي، تشعر بتفوق الصبي عليها. إن الفتاة التي تتمتع بسمات النشاط والحيوية والديناميكية، تقبل التحدي للجنس الآخر، إنها تتصرف كالصبي، مع فارق وحيد هو فقدانها القضيب.

الفتاة والصبي خلال مرحلة ما قبل البلوغ، يميلان إلى العزلة والانفرادفي الأماكن الهادئة والبعيدة عن مراقبة الأهل والمجتمع، إنهما يرغبان في التحدث في المـواضيع التي تثيـر الفضول الجنسي (الحمـل، الولادة، الإنجـاب). الإتجاه الصبياني للفتاة خلال هذه المرحلة لا يمكن اعتباره انحرافاً أو نقصاً ولكنه ظاهرة صحية ناتجة عن نشاط الفتاة وحيويتها(٢).

علم النفس التحليلي يعتبر أن رغبة الفتاة المستمرة في أن تظهر بالمظهر الصبياني يخفي وراءه بدون أدنى شك دافعاً قوياً ورغبة صادقة في أن تكون صبيّاً، معاناة الفتاة من هذه الرغبة والشعور بالدونية والتوتر النفسي قد يؤثر في الصحة النفسية للفتاة. يعتبر «فرويد» أن البنت بعد سعيها سعياً فاشلاً في منافسة الصبي، تدرك خلوها من القضيب، أو على الأصح تفاهة بظرها، مما يؤدي عندها إلى خيبة الأمل بمنافسة الصبي(٣).

(١) راجع فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور، دار المعارف بمصر ص ٩٨-٩٩.

(٢) د. مصطفى فهمي: «سيكولوجية الطفولة والمراهقة» مكتبة مصر، ١٩٦١.

(٣) Freud. S: «Introduction a la Psychologie, Paris».

إن دخول الفتاة مرحلة البلوغ يجعلها تشعر بالعوارض الأولى للقلق الجنسي والإحساس بالخوف وخيبة الأمل من الفشل العاطفي، إن التماهي بالمظهر الصبياني يستعمل في هذه الحالة كآلية دفاعية للصراع وكدرع لحماية الأنوثة، مما يخفف عنها المعاناة تجاه الجنس الآخر[1].

إن قلق الفتاة وخوفها من الفشل العاطفي قد يؤديان أحياناً إلى الإنحراف والسلبية والبرودة الجنسية، أو قد يدفعها على العكس نحو الترجّل أو الميل إلى الجنسية المثلية. نلاحظ أن النشاط الأساسي للفتاة خلال هذه المرحلة يتمحور حول حاجة «الأنا» إلى النمو والنضج على الصعيد النفسي والجسدي والفكري. ومن أجل بلوغ هذا النمو، تسعى الفتاة إلى التحرر من تبعية العلاقات العائلية (التبعية للأم، للأخ، للأخت) وأن تتكيف مع الوسط المدرسي مما يتلاءم مع طموحها وآمالها في المستقبل.

إن التمايز بين السلوك المدرسي والسلوك المنزلي قد يبدو مثيراً للدهشة. بعض الأولاد يتميز سلوكهم في البيت بإزعاج الأهل، بينما سلوكهم المدرسي يكون حسناً من ناحية التقيد بقواعد النظام والانضباط. من النادر أن نجد ولداً يتصرف سلوكاً حسناً في البيت مقابل سلوكه المشاغب في المدرسة؛ ونقل الصراع من المنزل إلى المدرسة يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالنسق الإنفعالي المعقّد عند الولد[2].

إن الأهل خلال المراحل الأولى يواجهون صعوبة في إرسال الولد إلى المدرسة، إن الولد يتصور هوامات خيالية ويشعر بالقلق من المدرسة، مما يجعله يرغب البقاء في البيت، لإحساسه بالأمان إلى جانب الأم؛ واستمرارية هذا السلوك قد تؤدي إلى احتمال ظهور عوارض عصبية في المستقبل. إن نمو الأنا عند الصبي والبنت يساهم في الشعور بالاستقلالية والتخلص من التبعية ومن الهوامات الخيالية المقلقة. إن الولد يخاف من المدرسة لأنها تمثل له عالماً يتميز بالقسوة والصرامة. إن الطريقة التي يتكيف بها الولد خلال المرحلة الأولى من دخوله المدرسة غالباً ما

---

(١) د. زكريا إبراهيم، سيكولوجية المرأة، مكتبة مصر القاهرة.

(٢) د. فؤاد حيدر، التخطيط التربوي والمدرسي، دار الفكر العربي بيروت.

تعكس أسلوباً واتجاهات وأنماطاً للتّكيّف مع الواقع خلال المراحل اللاحقة[٢].

من المظاهر النفسية الشائعة عند الأنثى خلال مرحلة ما قبل البلوغ، ظاهرة «العناد» الذي نلمس ملامحه في رفض الفتاة لقواعد التربية والنظام التي كانت مقبولة سابقاً. هذا الرفض يترافق أحياناً مع مظاهر وتصرفات عدوانية. هذا العناد يظهر من خلال: (إرتداء الملابس، تسريحة الشعر، الخروج في زيارات للأقارب والجيران. . .).

إن الولد خلال هذه المرحلة يميل إلى رفض بعض العادات التي كان قد اكتسبها سابقاً من خلال التربية والتنشئة وأصبح يمارسها بشكل آلي مثل: النظافة، حسن الهندام الخارجي، النظام في ترتيب الأشياء.

إن الفتاة خلال هذه المرحلة تحاول أن تتصرف بشكل عفوي دون التقيد بالنظم والقواعد التربوية والعادات المكتسبة، إنها تحاول أن تنتقم بعدوانية من ضغط القيم والقواعد الأخلاقية والتربوية. إن الفتاة خلال هذه المرحلة غالباً ما تشعر بحالات من الإرهاق النفسي مما يدفعها إلى اللجوء إلى الأم لأنها تشعر أنها بحاجة إلى العطف والحنان[١].

إن الفتاة تمر أحياناً خلال مرحلة ما قبل البلوغ ببعض الانتكاسات على الصعيد النفسي والجسدي. وتتجسد هذه الانتكاسات بالميل الضمي إلى الشراهة وذلك للتعويض عن الهوام الخيالي للحرمان العاطفي.

إن الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ، عندما لا تعاني من الشعور بالحرمان العاطفي، فإنها تسعى بشتى الوسائل لمنع الأم من التدخل بشؤونها الخاصة، إنها تتصور أن كل حركة تقوم بها الأم هي تحدٍّ لها وحاجز أمام نموها. إن الأم تمثل لها الماضي الذي تحاول التخلص منه لأنه يعكس عدم الاستقلالية والتبعية والخضوع.

نلاحظ مظاهر الاستقلالية وتوكيد الذات عند الطفل خلال مراحل الطفولة

---

(١) Lequense - Gromaire Paulette: «Votre enfant à l'école maternelli, Paris 1976.

(٢) الحافظ، نوري، المراهق، دراسة سيكولوجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١.

الأولى، خصوصاً في بداية تعلمه المشي حيث يرفض مساعدة الآخرين له، يعبر بغضب وصراخ حاد إذا منع من استعمال ومسك بعض الأشياء التي يرغب بها. إن أسلوب الفتاة خلال هذه المرحلة يبدو مشابهاً لسلوك الطفل، إنها تشعر بالعدوانية والكراهية والغيظ من الشخص الذي يحاول التدخل في شؤونها الخاصة أنها تسعى جاهدة لتحقيق الاستقلالية وتشعر بالقلق والتوتر من ضغط الأم عليها وفرضها قواعد من السلوك بالقوة. إن الأم تسعى لأن تبقي البنت تحت حمايتها ورقابتها. إن الأم التي تحاول التوقف عن ممارسة الضغط على ابنتها فإنها تمنحها الفرصة لتحمل المسؤولية والاستقلالية، باعتبار أنه بقدر ما تحقق الفتاة استقلاليتها تخفف الأم عنها عبء المسؤوليات التربوية الملقاة على عاتقها. إن اعتماد الفتاة على النفس يجعلها تأخذ جانب الحذر والحيطة والشعور بعدم الأمان من خلال التفاعل مع الوسط الخارجي. خصوصاً إذا كانت الأم من النمط الذي يشاطرها هذه المخاوف والقلق. إن استمرارية هوامات الخوف والقلق النفسي عند الفتاة يؤديان إلى تصورات خيالية لديها أنها مهددة بخطر ما، إنها لا تستطيع أن تحدد موضوع الخطر، هذا الشعور من القلق يعيد إرتباطها بأمها إرتباطاً وثيقاً على المستويين العاطفي والانفعالي، مما يجعل الفتاة تتخيل في المستقبل سواء كانت بقرب أمها أو بعيدة عنها، أنهما يعيشان ذات الأحاسيس والمشاعر من الحزن أو الفرح؛ وهذا ما يسمى بآليات النقل والإسقاط. أي أن البنت تنقل حالاتها النفسية لتسقطها على أمها. هذا الوضع يعتبر حالة مرضية ويؤثر في حياة الفتاة النفسية وفي نمط ارتباطها بأمها(١).

إن توازن المرأة النفسي في المستقبل يمكن ردّه بدرجة كبيرة إلى حالات التوازن النفسي خلال مرحلة ما قبل البلوغ والجهود المبذولة لتحقيق هذا التوازن، لأن اضطراب النمو النفسي خلال مرحلة ما قبل البلوغ، يعيق النمو النفسي للفتاة خلال المراحل اللاحقة ويترك بصماته على شخصية المرأة في المستقبل. إن الإنتقال الطبيعي للفتاة من مرحلة ما قبل البلوغ إلى مرحلة البلوغ يرتكز بشكل أساسي على الإحساس بالمسؤولية والاستقلالية وعلى التخلص من مشاعر التبعية

(١) Leif. J. Psychologie et éducation, tome 2, Paris, Fernand Nathan, tome 2, 1968.

والضعف والاتكالية تجاه الأشخاص المحيطين بها. إن الأنثى، خلال مرحلة البلوغ، تحاول أن تستبدل علاقات الصداقة بالحاجة إلى عطف الأم وحنانها. من الصعب إشباع الجوانب العاطفية للأنثى بموضوع معين، إن الفتاة التي تفشل في التكيف مع موضوع الصداقة لإشباع حاجاتها العاطفية، تسعى للنجاح في ميادين أخرى: (فكر، ثقافة، قيم أخلاقية..) مما يعوض حاجتها إلى مشاعر العاطفة والحب. هذا النموذج من الفتيات اللواتي يعانين النقص العاطفي يقع فريسة الحب الرومانطيقي، لأنه يعيش حالة الانفعال العاطفي على المستوى الخيالي.

إن شعور الفتاة بالحرمان العاطفي وحاجتها إلى الأمن وعدم ثقتها بالآخرين يجعلها تتصور أن الحياة صعبة وشاقة ومملة. هذا الوضع إذا استمرّ يجعل الفتاة تعاني إضطرابات في الجهاز الهضمي والصداع. إن عدم الإشباع العاطفي للأنثى خلال المرحلة الفمية، يجعل الفتاة خلال مرحلة البلوغ تعاني الوسواس من بعض أنواع الأطعمة. الوسواس هنا يستعمل كوسيلة للتعبير عن حاجتها إلى العطف والحنان[1].

هذا الصراع الناتج من التوتر العاطفي والوجداني يؤدي إلى العصاب وإلى رفض بعض أنواع الطعام. إن مخاوف الولد هنا ترتكز على الخوف من الحرمان العاطفي ومن ضغط القيم والمعايير. هذه المخاوف تكون أحياناً غير واقعية وغير موضوعية. إن الفتاة، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، تعاني الإرهاق في فك الارتباط بالأم. خوفاً من الحرمان العاطفي، لا يظهر التوتر خلال تلك المرحلة، لكنه يعود ويظهر في حالات أخرى لاحقة، وخاصة خلال مرحلتي البلوغ والمراهقة. إن الاتجاهات العدوانية تجاه الأم تعود وتظهر من جديد. التعبير عن مشاعر العدوانية يظهر من خلال رفض الفتاة لبعض أنواع الطعام، أو الألبسة أو الزيارات أو تسريحة الشعر.

لاحظنا في هذا الفصل تطور الفتاة على الصعيد النفسي خلال مرحلة ما قبل البلوغ والصعوبات التي تواجه الفتاة وتؤدي إلى العصاب النفسي. إن استمرارية

(١) يعتبر فرويد أن التأنيب الوسواسي للنفس سببه دوافع سادية مكبوتة.

العصاب عند الأنثى خلال مرحلة ما قبل البلوغ وخلال المراحل التالية يمكن ردّها إلى حالات عصابية ناتجة عن عدم التكيف خلال مراحل الطفولة الأولى، ويعود سببه حسب التحليل النفسي إلى الحرمان العاطفي الناتج عن غيرة من الأب أو من الأم، أو ولادة أخ، أو تقديم الهدايا، أو انفصال بين الأهل، أو موت إنسان عزيز. إن الإضطراب النفسي عند الفتاة يعود في الغالب إلى الشعور بالدونية تجاه الصبي أو إلى هوامات خيالية من الحرمان العاطفي أو إلى الشعور بعدم الأمان.

إن علاج الفتاة التي تعاني العصاب يكون، حسب التحليل النفسي بتغيير الوسط العائلي أو الاجتماعي أو الجماعة ومساعدة الفتاة على إقامة علاقات اجتماعية جديدة، مما يساعدها على التخلص من الشعور بالدونية ويحقق لها الإشباع العاطفي ويجعلها تشعر بالأمان ويزيل عنها الهوامات الخيالية العدوانية[١].

علم النفس التحليلي يعتبر أن التعبير العدواني والهجومي للفتاة في بعض المواقف، يمكن اعتباره من الناحية النفسية وسيلة مشروعة، إنه يمثل آلية دفاعية للأنا في مواجهة المخاطر الناتجة من الوسط الداخلي (حاجات جنسية أو عاطفية) أو الناتجة من الوسط الخارجي.

إن الشخصية تحاول أن تستعمل الأسلحة الهجومية (العدوانية) من أجل مواجهة تهديدات الواقع والانتصار عليه. العدوانية تكون أحياناً آلية دفاعية ضد السلبية التي تهدد بناء الشخصية.

الفتاة تلجأ أحياناً إلى التصرف كالرجل، تقول إنها مسترجلة. هذا السلاح تستعمله الفتاة للتغلب على الماسوشية. حاجة الفتاة إلى أن تظهر بمظهر الناضجة والبالغة، تستعملها كوسيلة ضد المخاطر التي تهددها في مرحلة الطفولة. التقهقر نحو الطفولة قد يكون وسيلة دفاعية لمواجهة المخاطر التي تهدد الفتاة خلال مرحلتي البلوغ والنضج.

---

(١) Leif, J, «Psychologie et éductation, tome 4, Paris, Fernand, Nathan, 1971.

إن الاختراعات والاكتشافات في الكيمياء والفيزياء التي تستعمل كسلاح مدمّر في الحروب لم يكن هدفها عدوانياً، إنها تحتفظ بقيمتها للبناء عندما تنتهي الحرب وتستعمل في المجالات المتعددة لخدمة الإنسانية. كذلك بالنسبة للآليات الدفاعية للأنا، هذه الآليات تستعمل أحياناً كآليات هجومية للدفاع عن الشخصية في حالة الخطر، وأحياناً أخرى في الحالات الطبيعية فإنها تستعمل في التنمية والتطور. أي أنها وسائل يلجأ إليها الفرد لاقتحام تحديات الوسط الخارجي.

مرحلة البلوغ

كما لاحظنا في الفصل السابق، تزداد الفتاة خلال مـرحلة ما قبـل البلوغ نشاطاً وحيوية. البنت خلال هذه المرحلة تسعى جاهدة لإثبات «الأنـا» وتوكيـد الذات من خلال التخلص من العوائق التي تربطها بمرحلة الطفولة الأولى. هذا الإتجاه يستمر عند الأنثى حتى بلوغها مرحلة المراهقة. صراع الفتاة مع الوسط العائلي، يعتبر كحاجة ملحة إلى نموّ «الأنا» كشخصية مستقلة، الحاجة ليست فقط إثبات الذات داخل الوسط العائلي بل توكيد الذات بالنسبة إلى أغلب الأشخاص المحيطين بها والذين تتفاعل معهم.

إن وعي الفتاة بالذات ينمو خلال مرحلة البلوغ، مما ينبيء عن تحولات داخل الشخصية. الفتاة تبدو أكثر تعقيداً خلال مرحلة المراهقة، إنها تلجأ إلى عدة وسائل وآليـات نفسية متقـدمة ومتـطورة مما يسـاهم في تطور الشخصيـة خلال المراحل اللاحقة. ولكن ما يقلقها هو الشعور الداخلي بأنها ما زالت طفلة بسبب خوفها المتزايد من الثقة بالنفس ومن المسؤوليات الملقاة على عـاتقها. خـلال المرحلة الجديدة من النمو النفسي والجسدي، الفتاة تعيش حـالة صـراع وعدم استقرار، هذا الصراع ناتج، من جهة، من تزايد ثقتها بالنفس، ومن جهة أخرى من إحساسها بالضعف. في سبيل تأمين التوازن النفسي، تلجأ الفتاة إلى آليات التقليد والتماهي وإعادة النظر في القيم، إن البنت، خلال مرحلة البلوغ، تستعمل جميع الوسائل المتاحة لردم الثغرة الناتجة من الصراع بين الاستعدادات والطاقات الذاتية المتزايدة، وبين إمكانات الواقع ومتطلباته الملحّة والمعقدة.

إن الفتاة خلال مرحلة البلوغ، تشعر بالحاجـة والرغبـة في السيطرة على

شعورها بعدم الأمان، إنها تستعمل مختلف الوسائل للسيطرة على هـذا الشعور ولتحقيق اطمئنانها النفسي.

١ ـ البلوغ الجنسي وتأثيره النفسي في شخصية المرأة

إن تطور مراحل النمو للفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ والمراحل اللاحقة يحصل بشكل تدريجي على الصعيدين النفسي والجسـدي. التحول العضـوي الأكثر بروزاً وأهميته هو موضوع البلوغ الجنسي. هذا العامـل البيولـوجي المهم يسمح للفتاة أن تلاحظ التحولات والتغييرات الجسدية وما يرافقها من حالات نفسية وعاطفية وانفعالية. إن الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ لا تهتم كثيراً بمظهرهـا الخارجي، أما في مرحلة البلوغ فإنها تعتني بجسدها من خلال استعمال وسائل التجميل: المساحيق، المراهم، أحمر الشفاه. إن الإهتمام بالمظهـر الخارجي ليس تقليداً كما كان يحصل في مراحل الطفولـة المبكّرة، ولكنـه وسيلة لإشباع الجانب النرجسي وما يثير فيها من مشاعر الزهو والغرور ورغبتها في أن تبدو جذابة وأنيقة وحلوة، تدفعها إلى الإهتمام بالثياب الجميلة، والمجوهرات. غالباً ما تقوم الفتـاة في مرحلة المـراهقة بـأعمال منحـرفة لتـأمين المال الـلازم لشـراء هـذه الحاجيات.

إن الفتاة خلال مرحلة الكمون الجنسي لا تهتم كثيـراً بموضـوع الأعضاء الجنسية، بل يتركز إهتمامها على مظاهر الجسد الخارجي، أما في مرحلة البلوغ فإن الفتاة تبدو مسرورة وفخورة بالتغييرات الأولية الناتجة عن نمو الصدر والثديين.

إن الفتاة التي كانت، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، تتصرف كالصبي، تحاول خلال مرحلة البلوغ أن توجّه اهتماماتها إلى مظاهر الجنس الأنثوي، ويظهر ذلك من خلال إبرازها لمفاتن الجسد الأنثوي: الإهتمام بالخصر، الأرداف، استدارة الثديين. إنها تتأمل باهتمام وسرور مظاهر الأنوثة بعكس مرحلة ما قبل البلوغ حيث كانت لا تعير الإهتمام لجنسها وتحاول تقليد الصبي.

إن العوامل البيولوجية والإفرازات الهرمونية. تؤثر خلال مرحلة البلوغ في الجوانب النفسية للفتاة؛ إنها تهتم بوظيفة الأعضاء التناسلية من خلال وظيفتي:

الاستمناء والطمث. الفتاة، خلال مرحلة ما قبل البلوغ، كانت تعتقد أن العضو الجنسي ناتج عن جرح في الجسد، مما يسبب لها آلاماً نفسية. إن استمرارية الشعور والتفكير بهذا الأسلوب خلال مرحلة البلوغ، يؤدي إلى إنعكاسات نفسية سلبية على شخصية البنت[1].

علينا أن نشير إلى أن الإدراك النفسي للفتاة بالنسبة إلى عضوها الجنسي، يختلف عن إدراك الصبي لعضوه، الإختلاف ليس سببه التمايز الفسيولوجي بين الجنسين، ولكنه يتأثر بالقيم والمعايير الاجتماعية وأساليب التربية والتنشئة التي تؤثر في موضوع الإدراك للأعضاء الجنسية عند كل من الذكر والأنثى، يضاف إلى هذه العوامل، العامل الذاتي والشخصي، خصوصاً فيما يتعلق بالذكاء والموهبة، والوسائل المستعملة للسيطرة على القلق، هذه العوامل بمجملها تؤدّي دوراً أساسياً في تحديد السمات المميزة لشخصية المرأة. إن موضوع الصداقة الذي كان يربط الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ بفتاة أخرى يتعرض خلال مرحلة البلوغ لتغييرات وتحولات؛ وهذه التغييرات ناتجة من تأثير الوسط الإجتماعي والمدرسي والفئة الإجتماعية التي تنتمي إليها، مما يجعلها تهتم بموضوع الجنس الآخر.

٢ ـ الصداقة وجماعة الرفاق وتأثيرها في شخصية المرأة

إن الصدمة النفسية التي تتعرض لها الفتاة خلال مرحلتي ما قبل البلوغ ومرحلة البلوغ وحتى خلال المراحل اللاحقة هي فقدانها أو خسارتها لصديقتها الحميمة. هذه الخسارة تعود إلى عدة سباب: الابتعاد، الفراق، سوء الأمانة، إرتباط الصديقة بعلاقات جديدة مع فتاة أخرى أو مع صبي. الفتاة المصدومة، تفتش عادة عن صديقة أخرى؛ وفشلها في العثور على صديقة جديدة يجعلها ترتد إلى علاقة التبعية لأمّها التي حاولت سابقاً التحرر منها. هذا الموقف المعقد يساهم في إعاقة النمو النفسي للفتاة.

إن الفتاة خلال مرحلة البلوغ تواجه حالات من التوتر والعصاب النفسي من أهمها فقدانها صديقتها الحميمة. إذا شعرت الفتاة أنها عاجزة عن تأمين صديقة

---

(١) د. عبد العزيز القوصي: «تطور نمو الأطفال»، عالم الكتب ١٩٦٢.

بديلة، وفشلت في تأمين الإشباع للحرمان العاطفي من خلال أمها، فإن هذا الوضع يجعلها تعاني العصاب النفسي، ويدفعها إلى الإرتداد والنكوص إلى مراحل الطفولة الأولى[1].

أظهر التحليل النفسي أن الصداقة بين الأولاد من نفس الجنس، خلال مرحلتي ما قبل البلوغ والبلوغ يتضمن محاذير ومخاطر منها: الشعور بعقدة الذنب، والخوف من الميل إلى الجنسية المثلية[2]. إن الصداقة التي ترتكز على أسس صحيحة وسليمة، حيث يسود الإعجاب والتقدير والاحترام المتبادل، تستمر عند الفتاة خلال مرحلة البلوغ على الرغم من بروز الميول الجنسية إلى الجنس الآخر.

إن الفتاة في هذه الحالة قد تعاني من الصراع بين مشاعر الحب للصديقة من جهة، ودوافعها الجنسية تجاه الجنس الآخر من جهة ثانية. إن ميل الفتاة إلى الجنس الآخر يحصل بشكل تدريجي، لكي تحافظ على التوازن بين المجال النفسي والنمو البيولوجي.

إن انخراط الفتاة في وسط اجتماعي متدنٍ اجتماعياً وثقافياً قد يثير فيها روح المغامرة للسلوك المنحرف. إن انضمام الفتاة إلى جماعة أخرى ذات مستوى إقتصادي وإجتماعي وثقافي عالٍ قد يساعدها على التكيف والتخلص من المشاكل والصعوبات التي تعانيها. إن انخراط الفتاة في جماعة ذات قيم ومعايير مختلفة عن معايير الأهل قد يؤثر سلباً في الحياة العاطفية للفتاة. علينا أن نشير إلى أن سلوك الفتاة داخل جماعة معينة، يختلف عن سلوك الصبي. إن الصبي خلال مرحلة البلوغ يرغب في الإنضمام إلى جماعة رفاق يرتبط أفرادها فيما بينهم بروابط ومعايير ثورية ترفض الواقع ويشعر بالحاجة إلى التحرر من سيطرة الأهل. إن الولد يعتقد أنه يعاني من الكبت والقهر والاضطهاد بسبب ضغط عالم الكبار عليه. المظاهر العدوانية للصبي يعبر عنها غالباً بمشاكسة المعلم الذي يمثل له «الشخص

---

(١) الموجز في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) محاضرات جديدة في التحليل النفسي، مرجع سابق محاضرة ٢٣.

المنتقم» والظالم. خلال مراحل النمو اللاحقة، يحصل تطور في نمط العلاقات الاجتماعية، حيث تستبدل بالجماعة والعصابة الأحزاب السياسية والأيديولوجية. الشخص الظالم والطاغي يأخذ شكل طبقة أو فئة أو حزب، والصراع يأخذ شكل الصراع الإجتماعي والسياسي والحزبي.(١)

من الأساليب الأكثر شيوعاً التي يلجأ إليها الصبي خلال مرحلة البلوغ للتعبير عن الإستقلالية والتحرر من سيطرة الأهل، هو الهروب المؤقّت من المنزل؛ والهروب المؤقت غالباً ما ينتهي بتقديم الأعذار والعودة إلى الأهل، خصوصاً بعد توسط الأصدقاء والأقارب المخلصين. الهروب من المنزل قد ينتهي أحياناً أخرى بنتائج مأساوية خصوصاً إذا ما لجأ الصبي أو البنت إلى جماعة منحرفة. إن رغبة الهروب المؤقت عند الفتاة خلال مرحلة البلوغ، تعود في الغالب إلى صدمة عاطفية ناتجة عن الحرمان العاطفي من الوسط الذي تنتمي إليه.

إن التطور البيولوجي للفتاة خلال مرحلة البلوغ يؤثر تأثيراً قوياً في الناحية النفسية والفكرية. ظهور الطمث خلال مرحلة المراهقة يؤدي إلى انعكاسات هامة على نفسية الفتاة. إن مرحلة المراهقة تعتبر من المراحل المهمة والأساسية في بناء الشخصية المستقبلية؛ ويعتبر البعض أن مرحلة المراهقة للأنثى هي التي تحدد إلى حدٍّ كبير شخصيتها كامرأة في المستقبل.

٣ ـ دور خلافات الأهل في النمو النفسي للبنت.

الكاتب «كاريت ميكائيل» في كتابه «الولد» يكشف التطور النفسي للفتاة من خلال التفاعل مع الأهل.

«أندريا» فتاة لها من العمر ستة عشر عاماً. إنها فتاة جميلة، محبوبة من الأشخاص المحيطين بها، لكنها لم تزل طفلة على صعيد النمو النفسي. إنها تعاني عصاباً حاداً بسبب الخلافات بين الأهل، إنها تتخيل أن أهلها أعداء يعيشون تحت سقف واحد. الأهل لا يعلمون أن ابنتهم «أندريا» تقرأ أفكارهم. الفتاة «أندريا» تنازع على فراش الموت. قبل لحظات من الفراق، الأم والأب يتظاهران

(١) Gesell, A, l'adolescent de 10 à 16 ans, Paris, P. U. F, 1959.

بالحب من أجل سعادة ابنتهما؛ إنهما يدخلان غرفة «أندريا» وأيديهما متشابكة، تبتسم «أندريا» قائلة: «كم تبدوان لطيفين»، «ماذا تفعلان عندما تجلسان وحدكما» «كم كنت أرغب أن تكونا سعيدين»، «كما كانت رغبتي قوية أن أراكما تتعانقان صباح كل يوم».

إن أمنية «أندريا» الأخيرة على فراش الموت هي عزاء الأهل. تبدو «أندريا» كأنها تضحّي بحياتها في سبيل سعادة أهلها وتأمين التفاهم بينهما.

يعتبر التحليل النفسي أن بعض الأولاد، حتى الصمّ منهم، تهيمن عليهم أفكار وتصورات خالية ناتجة من الشعور بعدم الاهتمام بهم، والهوام الخيالي أن الأهل سوف يفترقون، هذه التصورات سواء أكانت واقعية أم خيالية، فإن رغبة الأنثى تظهر بالبقاء مع أبيها؛ لكن الإحساس بالذنب تجاه أمها قد يدفعها إلى الانحراف. إنّ الأنثى خلال مراحل النمو المختلفة تعتبر أن موضوع حبها هو الأب أو من يحل محله لاحقاً، لكن تعلق الفتاة بأمها يجعلها تتخلى عن هذه التصورات.

الكاتب يصور لنا أن الفتاة الجميلة «أندريا» عندما تصعد إلى السماء تتخيل أنها بين ذراعي أبيها وأنها تخاطبه قائلة: «قبلني يا أبي، أيها الأب الرائع، المدهش، ضع يدك على رأسي وسوف نختفي معاً». تتكلم أندريا عن قلقها من فقدان بصرها: «أبي، إذا أصبحت عمياء، لا تقلق عليّ، يكفينا نحن الأثنين زوج واحد من العيون».

تعبر «أندريا» بعد ذلك عن شعورها بالحب تجاه أمها: «أمي أنتِ لست بعيدة عني، هل أستطيع القدوم إليك». تأخذ الأم ابنتها «أندريا» بين ذراعيها كما لو أنها طفلة صغيرة، تضم «أندريا» صدرها إلى صدر أمها، هكذا فارقت «أندريا» الحياة. لقد أمضت «أندريا» لحظاتها الأخيرة جاهدة في الحصول على وعد من أبويها بأنهما سوف يعيشان معاً حياة هادئة وسعيدة مملوءة بالتفاهم والتعاون.

لقد اكتشفت الأم بالصدفة دفتر يوميات «أندريا» حيث تعترف البنت بحبها الكبير لأبيها من خلال هذه الكلمات:

«أبي إني مستعدة للتنازل عن الفردوس، مقابل عدم التنازل عن حبك»؛

«أمي أيتها المؤمنة، والصابرة أنك تستحقين الجنة» ثم تضيف قائلة: «عندما أضع يدي على جبهة أبي، أشعر أننا متكاملان كالعينين». «إن أبي يحب ما أحبه، ويكره ما أكرهه».

تصغي «أندريا» إلى صوت الليل، تسمع أن الأب والأم لم يزالا منفصلين، تقول «أندريا»: «أبي، هل تستطيع أن تمنح أمي قليلاً من الحب. كانت «أندريا» تعتقد أن لأبيها عشيقة مما كان يسبب لها العذاب والألم، ولكنها عندما أدركت أن الشك بوجود عشيقة ليس في محله، شعرت بفرح كبير، لقد سرت «أندريا» سروراً كبيراً. عندما اشترى لها أبوها باقة من الورد ولم يشترِ باقة للأم»، كتبت أندريا تقول: «لو ترك لي الخيار أن أعيش اليوم الأخير من حياتي مع أمي، أو مع أبي، لاخترت أبي»، إن موضوع الحب عند «أندريا» هو الأب حيث تقول: «لا أستطيع أن ألمس رجلاً آخر غير أبي».

من خلال هذه الرواية نستطيع أن نستنتج أن الفتاة خلال مرحلة البلوغ، تمر بتحولات على الصعيد النفسي والجسدي والاجتماعي، وأنها تتصور أنواعاً متعددة من المتاعب. إن كبت الدوافع الجنسية يؤثر في شخصية الفتاة خلال مرحلة البلوغ، الصراع مع الأهل خلال مرحلة البلوغ يؤثر في الناحية النفسية للفتاة. إن الإرتباط العاطفي بامرأة أكبر منها سناً، قد يؤدي إلى إعاقة ميل الفتاة إلى الجنس الآخر، لأنها تبقى أسيرة العلاقات العاطفية والجنسية المثلية.

إن شعور الفتاة خلال مرحلة البلوغ بأن الوسط العائلي الذي تنتمي إليه يضغط عليها بقوة، قد يجعلها تشعر بالحاجة القوية إلى التحرر من هذا الوسط واللجوء إلى الاندماج في جماعة أخرى.

مرحلتا البلوغ والمراهقة وتأثيرهما في النمو النفسي للمرأة

سوف نحاول في هذا الفصل أن نعالج العوامل المؤثرة في شخصية الأنثى خلال مرحلة المراهقة. إن الحوادث النفسية عند الفتاة خلال مرحلة المراهقة، ليست منفصلة عن الحوادث والعوامل النفسية التي عرفت خلال مرحلتي «ما قبل البلوغ» و «البلوغ».

خلال مرحلة المراهقة، تحاول الشخصية أن تحقق الاستقلال والحرية، وتبدأ علاقات التبعية بالزوال التدريجي ليحلّ محلها نمط علاقات جديدة نتيجة التفاعل مع الأسرة، والمدرسة، والوسط، مما يحدد السمات الأساسية للشخصية.

إن التغييرات البيولوجية خلال مرحلة المراهقة تؤدي إلى نتائج هامة على الصعيد النفسي والعاطفي والإنفعالي والجسدي. إن شخصية المراهق تواجه أنواعاً متعددة من الصراع المعقّد التي يتوقف عليها النمو الطبيعي وتوازن الشخصية، أو عدم التوازن الذي يؤدي إلى سوء التوافق والانحراف.

إن تحرر الشخصية من الآثار الطفولية يتم خلال مرحلة المراهقة بالتخلّص تدريجياً من العلاقات العاطفية السابقة. إن حدّة التوتر والصراع النفسي خلال مرحلة المراهقة تبدو كنتيجة للتحولات الفسيولوجية وكردة فعل على ضغط القيم والمعايير للوسط الخارجي.

هنا لا بد من طرح السؤال التالي:

ما هي وسائل الدفاع النفسية عند المراهقة التي تساعدها على التخلص من العلاقات العاطفية السابقة؟

إن مـواضيـع التمـاهي للفتـاة المـراهقـة تلعب دوراً أسـاسيـاً في تحقيق الاستقلالية والتخلص من تبعية العلاقات الطفولية الأولى. إن تكوين الشخصية خلال مرحلة المراهقة يعود في جزء كبير منه إلى موضوع التمـاهي في الأهل، والجزء الآخر للشخصية يتكون من خلال التماهيات في مواضيع الوسط الاجتماعي والثقافي: المدرسة، والروايات، والمسلسلات التلفزيونيـة والأفلام السينمـائية، والسِّيَر الدينية.

علينا أن نشير إلى أن التماهيات خلال مرحلة ما قبل البلوغ لها سمة التقليد وتمثيل الأدوار، في حين أن التماهيات خلال مرحلة المراهقة تلعب دوراً أساسياً في تحقيق التوازن النفسي وإزالة التوتر أو التخفيف من حدّته[1].

إن الانفعال خلال مرحلة المراهقة يستعمل كوسيلة وآلية دفاعية لتخفيض التوتر والتحرر من العلاقات والمواضيع الطفولية، ونمو «الأنا» المثالي، وذلك من خلال التخلص من تبعية الأهل والميل إلى التحرر والاستقلالية.

إن مواضيع التماهي للفتاة المراهقة يتم مع شخصيات اجتماعية أو سياسية مهمة. رغم أهمية هذه المواضيع فإنها تبقى غير كافية، لأن الأنثى المراهقة في سبيل الإشباع العاطفي والنفسي تسعى لإقامة علاقة بشخصية ملموسة، مما يمنح حياتها العاطفية والإنفعالية السمة الموضوعية.

الدوافع والرغبات الجنسيـة للفتاة المـراهقة تتضمن بعض المخـاطر ممـا يساهم في تحريك آليات الدفاع لحماية الشخصية من التهديـدات الناتجـة من حالات الصراع الداخلي أو الصراع مع الوسط الخارجي. بقدر ما تنجح آليات الدفاع للفتاة المراهقة في تحقيق التوازن بين الدوافع الجنسية الداخلية وبين العالم الخارجي، يساهم ذلك في تنمية السمات الإيجابية للشخصية في المستقبل وتنمية «الأنا».

عالمة النفس «آنا فرويد» درست هذه الآليات الدفاعية وفي نظرها أن «الأنا»

---

(١) حول التماهي راجع: محاضـرات جديـدة في التحليل النفسي، مـرجع سـابق، محاضـرة ٣١، ص ٨٧.

هو نقطة الارتكاز في مقاومة مخاطر الرغبات والدوافع الجنسية. «الأنا» يتمتع بسمات الفاعلية للنمو لا على المستوى الجنسي فحسب، وإنما على شتى المستويات: الفكرية، والنفسية، والجسدية، والاجتماعية، والعاطفية والانفعالية.

من المواضيع المهمة أيضاً التي تؤثر في النمو الفسي للفتاة المراهقة، موضوع الصديقة. إن التفاعل مع العالم الخارجي واختيار موضوع للحب والاعجاب متمايز عن «الذات» يؤديان إلى تخفيف حدّة الميول النرجسية. بمعنى آخر، إن «الأنا» يسعى لتحقيق الذات من خلال التفاعل مع الآخر، وإن تماهي «الأنا» في الصديقة، يوسع من حقل «الأنا» الضيق ويكسب الشخصية ثقة أكبر بالذات.

١ ـ النرجسية عند المرأة وتأثيرها في شخصيتها

إن ميل «الأنا» إلى النرجسية[1] عند الفتاة المراهقة يلعب دوراً مهماً على صعيد نموها النفسي والفكري والاجتماعي لأن عدم التكيف العاطفي للفتاة المراهقة مع العالم الخارجي يقوّي عندها الميول النرجسية مما يؤثّر في نموها النفسي والعاطفي.

إن ظاهرة النرجسية في الفتاة المراهقة تلعب دوراً مزدوجاً في نموّها النفسي. من جهة، تبدو النرجسية كظاهرة إيجابية وضرورية لتطور النمو النفسي للأنا، لأن النرجسية كما نعلم تبدو مهمة لتوكيد الذات ومنع الشخصية من التشتت والتبعثر والتجزئة في تماهيات متعددة متناقضة؛ ومن جهة أخرى، تساهم النرجسية في زيادة نمو الثقة بالنفس، وتحقيق نمو «الأنا». أما سلبيّات الميول النرجسية الحادّة في نمو «الأنا» فإنها تدفع المراهقة إلى الشعور بالغرور والأنانية والتفاعل العاطفي السلبي مع الآخرين مما يعيق نمو «الأنا».

إن الدور المزدوج الذي تلعبه النرجسية على الصعيد النفسي يساهم إلى حدٍّ كبير في تحديد السمات الأساسية لشخصية الفتاة المراهقة.

---

(١) النرجسية: عشق الذات؛ اللبيدو النرجسي: الإثارة الجنسية تنبع من الذات وترتد إلى الشخص نفسه.

إن النرجسية عند الفتاة المراهقة إذا استمرّت قد تساهم في عودة الانفعالات الماضية لمرحلتي الطفولة والبلوغ، هذه الانفعالات ترتد إلى «الأنا» مما يضاعف من تأثير الميول النرجسية في الشخصية، إن استثمار «الأنا» النرجسي الطاقة العاطفية لمصلحته قد يضعف ويعيق «الأنا» للتماهي في أشخاص آخرين، ويقوي ميول الأنانية والذاتية، حيث تغلب على المراهقة الميل القوي إلى استعمال كلمة أنا[١].

الفراغ العاطفي للمراهقة مع الآخرين يزيد في الانفعالات التي تتمحور حول الذات[٢]. إن الفتاة المراهقة غالباً ما تسأل نفسها: من هو الشخص الذي سوف أحبه؟ من هو الشخص الذي سوف يحبني؟ نمط الأسئلة يعكس السمات الأساسية للشخصية، ويحدد الإطار العام لنموها. إن حدّة الميول النرجسية تؤدي إلى صعوبة التكيف مع الآخرين. علينا أن نشير إلى أن «الأنا» النرجسي للفتاة خلال مرحلة المراهقة يتميز بشدة الحساسية خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الحب. إن الأنا النرجسي يصاب بخيبة أمل إذا ما تعرض موضوع الحب للنقد. إن الفتاة المراهقة ترفض النقد الموجه إلى المواضيع التي ترتبط بحياتها النفسية والعاطفية الخاصة، حتى ولو كان هذا النقد موجهاً من قبل الأهل. من الصعوبات التي تواجه الفتاة المراهقة على المستوى النفسي هو الصراع بين العرض والطلب؛ إن الطلب على المستوى العاطفي يكون أكبر من العرض، والاختلال بين العرض والطلب على المستوى العاطفي يجعل الفتاة المراهقة تشعر بالحرمان العاطفي حيث لسان حالها يقول: «لا أحد يحبني». وهذا الشعور يدفع الفتاة المراهقة إلى حياة العزلة والوحدة، مما يؤدي إلى زيادة الترابط بين الثقة بالنفس وبين العزلة على الصعيد العاطفي؛ والعزلة والوحدة تساهمان في إغناء التجربة العاطفية للفتاة المراهقة ويجعلاها تشعر بالحرية والاستقلالية، حيث تشعر أنها متمايزة عن الآخرين، متفوقة عليهم كأنها تقول: «ليتهم يدركون ما أدرك، ويشعرون ما أشعر»[٣].

---

(١) في الليبد والنرجسي راجع: فرويد، محاضرات جديدة في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) في عشق الذات؛ المرجع نفسه، ص ٦٦.

(٣) Dolto, F. La difficulté de vivre, Pris, intereditions 1981.

إن الشعور بالعزلة والوحدة إذا استمرّا قد يؤديان إلى حالات من المعاناة للفتاة المراهقة، حيث يعجز «الأنا النرجسي» عن التغلب على هذه المعاناة، الفتاة المراهقة ترغب في أن تَحب وأن تُحب، والرغبة في أن تُحب تؤدي إلى التوتر، مما يدفع الفتاة إلى التفاعل مع مواضيع جديدة مختلفة عن الذات حتى تزيل هذا التوتر.

إن الفتاة المراهقة تميل إلى المبالغة في تقدير تجاربها العاطفية، إنها مستعدة للقيام بأي عمل في سبيل الذي تحبه، علماً بأن الموضوع المحبوب قد تتنازل عنه بسهولة لأجل موضوع آخر؛ وإن تبرير الإنتقال من موضوع للحب إلى موضوع آخر يظهر في قولها: «إنني خُدعت في المرة الأولى»، «ولكن بالتأكيد هذه المرة ستكون أفضل وأحسن». القابلية للحب عدة مرات تبدو أكثر شيوعاً عند الفتاة المراهقة، إنها ترغب أن تكون موضوعاً للحب من أكبر عدد من المعجبين، وأن تحطم أكبر عدد ممكن من القلوب.

هذا الميل للفتاة المراهقة لا يمكن اعتباره كتعبير عن حالة نرجسية فقط، وإنما كوسيلة لجذب احترام الآخرين ونيل الاعجاب والتقدير.

إن شعور الحب عند الفتاة المراهقة لا يسعى بالضرورة نحو كائن إنساني محدد وموجود، إنما يتوجه هذا الشعور أحياناً إلى كائن أو موضوع قد يكون خيالياً ومثالياً؛ وهذه المشاعر العاطفية قد تستثمر مستقبلاً في موضوع الحب الحقيقي والواقعي والموضوعي؛ ما يهم الفتاة المراهقة هو أن تكون موضوعاً للحب والاعجاب والتقدير والاحترام كأن لسان حالها يقول: «إنني رائعة وجذابة وحلوة وجميلة وذكية وحسنة الأدب والأخلاق والثقافة».

إن الحب الخيالي عند الفتاة المراهقة يعكس رغبتها في حب الذات أكثر من الرغبة في الشخص المحبوب. إن الفتاة المراهقة ترغب وتحلم في سماع صوت الحبيب معبراً عن مشاعره بالقول: «آه، يا حياتي، إنني مستعد بكل إخلاص لأن أعيش وأموت وأعاني من أجل عينيك». المحتوى الخيالي للوعي عند الفتاة المراهقة يتأثر بالوسط الاجتماعي والثقافي، والهوامات الخيالية لها خلفية إجتماعية وتؤثر تأثيراً قوياً في النمو النفسي للفتاة المراهقة.

إن التصورات الخيالية للفتاة المراهقة التي لا ترتكز على خلفية إيديولوجية أو دينية أو إجتماعية وإنما تتمحور فقط حول الذات سوف تنتهي غالباً بخيبة أمل للفتاة المراهقة. أحياناً الوسط الإجتماعي يساهم في تكوين المحتوى الخيالي لتصورات الفتاة المراهقة، إن الأب الطموح أو الأم الفخورة بابنتها، ينتظران من الإبنة أن تحقق لهما رغباتهما النرجسية حيث تبدو الإبنة المراهقة بالنسبة إليهما كوسيلة لتحقيق هذه الرغبات. إن الفتاة المراهقة قد تتعرض للفشل والخيبة عندما تُدفع إلى تحقيق أحلام الأهل التي لا تنسجم مع نموها النفسي والفكري والعاطفي ومع قدراتها واستعداداتها الجسدية والفكرية والنفسية.

إن الفتاة المراهقة تواجه الصراع في حقلين نفسيين مختلفين: الحقل الأول: يتعلق بالمستقبل مع ما يرافق ذلك من تحولات على الصعيد النفسي والعاطفي، والآخر يتعلق بالماضي وما يتضمنه من معطيات الطفولة. إن الشخصية تعاني من الصراع بين هذين الحقلين من أجل تحقيق التوازن بين عالم الطفولة وعالم المراهقة، إن طبيعة الصراع على المستوى النفسي يكشف الملامح الإيجابية والسلبية لنمو الشخصية.

تعتبر الميول النرجسية من العوامل الإيجابية في تكوين الأنا، وتمثل مرحلة متطورة، لأنها تساعد على التحرر من المواضيع الطفولية الماضية، وتساعد على نمو الذات، إن وظيفة «طاقة اللبيدو»[1]، كما نعلم، خلال مرحلة البلوغ ترتبط بالنضج الجنسي والجذب بين الجنسين، وهدف الجذب هو تحقيق اللذة الجنسية بين الجنسين. الشخص الذي يصدر عنه الجذب الجنسي يسمى «الموضوع الجنسي» والفعل الذي تهدف إليه الغريزة «اللذة الجنسية» يسمى الهدف الجنسي. إن اتحاد الموضوع والهدف داخل الأنا أو داخل الذات يؤدي إلى النرجسية حيث أن الموضوع الجنسي والهدف يقتصران على الفرد ذاته، بينما لا يكون الجنس الآخر موضوعاً للرغبة الجنسية. هنا الاتجاه لطاقة اللبيدو إذا استمرّ يشكل عائقاً لنمو الشخصية.

(١) يعتبر علم النفس التحليلي أن الدوافع تنشأ من الغرائز، ولكلّ غريزة دافع ومحرك. ودافع غريزة التفتيش عن الطعام هو الجوع. ودافع الغريزة الجنسية هو «طاقة اللبيدو» أو الجوع الجنسي.

٢ ـ الانتقال من النرجسية إلى الجنس الآخر

إن أهمية مرحلة المراهقة تكمن في تطور الشخصية والانتقال بجوانبها المتعددة (النفسي والفكري والبيولوجي) من الإطار النرجسي إلى إطار العلاقات الموضوعية مع الجنس الآخر.

إن الفتاة خلال مرحلة المراهقة تعاني من استمرارية المظاهر لمرحلة الطفولة التي تعيق النمو النفسي للشخصية.

إن تماهي الفتاة في أمِّها هو تعبير عن رغبتها في لعب دور الأم. إن استمرارية التماهي في الأم يمكن تفسيره بضعف القدرة على تنمية الشخصية، لأنه يمنع الفتاة من أخذ المبادرة واختيارها موضوعاً للحب غير الأم. إن الفتاة التي تواجه مشاكل وصعوبات معقدة خلال مرحلة المراهقة وتفقد آلية الدفاع ترتد إلى مرحلة ما قبل البلوغ التي تتميز بالسمة الطفولية وتتعامل مع هذا الوضع الصعب كما كانت تتصرف عندما كانت طفلة. إن استمرارية النكوص والارتداد خلال مراحل الصراع النفسي إلى الطفولة قد تؤدي إلى تفكك الشخصية الأنثى المراهقة على المستويين العاطفي والانفعالي[1].

إن استمرارية مظاهر الطفولة خلال مرحلة المراهقة تجعل الفتاة تتميز بالعدوانية والعصبية، وتؤدي إذا استمرّت إلى ظهور الأمراض النفسية أو العقد النفسية، حيث يفقد الشخص سيطرته على الذات، ويعاني عدم التوازن النفسي، ويستدل عليها من خلال عودة المخاوف والهلوسات الطفولية[2]. مما يدفع المراهقة ألى اللجوء إلى أمها وزيادة حالة التبعية وعدم الاستقلالية؛ وبقدر ما يزداد الارتباط العاطفي للفتاة المراهقة بالأم يزداد صراعها النفسي في فك هذا الارتباط.

إن تبعية الفتاة خلال مرحلة المراهقة، على المستوى العاطفي، للأم قد يزيد في تثبيت ميولها النرجسية، التي تستمر أحياناً مدى الحياة. إن الفتاة التي

---

(١) د. صبري جرجس: «مشكلة السلوك السيكوباثي»، دار المعارف مصر.

(٢) حول الهذيان والهلوسة راجع: فرويد: الموجز في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص' ١١٥ ـ ١١٦.

تعاني من سلبية العلاقة بالأم، فإنها لا تجسر على أن تتماهى في أمها مما يزيد في ميولها النرجسية. إن الفتاة المراهقة بحاجة إلى من يشجعها ويزيد ثقتها بنفسها سواء كانت الأم، أو الأشخاص المحيطين بها لأن ذلك يجعلها تشعر بالسعادة ويخفف من حالات الصراع النفسي.

هنا لا بد من طرح السؤال التالي: ماذا يتوجب على المراهقة القيام به لمواجهة التحولات والتغييرات البيولوجية؟

الجواب واضح: فالصبيّ خلال مرحلة المراهقة يتطور في الإتجاه الذي يؤهله أن يكون رجلاً في المستقبل، وهدف الفتاة أن تصبح امرأة. المسار الذي يجب على الصبي سلوكه خلال مرحلة المراهقة يرتبط بالوظيفية البيولوجية للعضو الذكري، إنه يسعى للتخلص من آثار المظاهر الطفولية التي تتيح له اكتشاف مواضيع حب جديدة، مما يثير فيه دوافع واتجاهات وميولاً جديدة؛ وهذا السياق التفاعلي بين الفسيولوجي والنفسي والعكس بالعكس يساعد على تنمية الشخصية في جوانبها النفسية والبيولوجية والفكرية.

أما عضو الأنثى الجنسي فإنه، بعكس عضو الذكر، يبقى مدة طويلة خارج إطار المساهمة المباشرة في الحياة الجنسية. بعض الفتيات المراهقات يتخيلن أن وظيفة الثقوب في الجسم هي إفراز الفضلات. إن الفتاة خلال مرحلة المراهقة تعاني من ثنائية الإدراك بالنسبة إلى العضو التناسلي.

الإدراك الأولي ناجم عن تأثير الأم التي توجه النصائح إلى الفتاة بحفظ الكنز الثمين وصونه وحمايته وحراسته لتقدمه مستقبلاً إلى الزوج السعيد الحظ (في الأحلام الأعضاء التناسلية للأنثى يرمز إليها بالكنز أو المجوهرات التي يتوجب حراستها).

الإدراك الثاني للفتاة ناتج من استمرارية الهوامات الخيالية الطفولية أن الأعضاء التناسلية هي مكان وسخ وقذر. هذه التصورات تستمر في اللاواعي. إن الفتاة تسخر من الصبي الذي يبالغ في الاهتمام بعضوه الذكري، وينظر إليه نظرة غرور وتقدير.

إن الفروقات بين الجنسين، خلال مرحلة المراهقة على صعيد: النمو النفسي والعاطفي والفكري والفسيولوجي تبدو واضحة: إن الأنثى والصبي لا يدركان بشكل واعٍ أن تحقيق الرغبة الجنسية يتضمن الحاجة إلى الحب، وأن الشعور بالحنان يؤدي إلى الاشباع العاطفي.

إن بروز الرغبات الجنسية عند الأنثى نحو الجنس الآخر تكبت وتستثمر في مجالات أخلاقية مقبولة اجتماعياً مثل الإخلاص، والتضحية. النمو النفسي والعاطفي يبدوان كأنهما مستقلان ومنفصلان عن الدوافع والرغبات الجنسية. إن الكبت الجنسي يساهم في النمو النفسي للشخصية خصوصاً على المستوى العاطفي حيث أن موضوع الحب يبدو كظاهرة مستقلة عن الدوافع الجنسية[١].

إن مفهوم اللذة عند الأنثى خلال مرحلة المراهقة يبقى منفصلاً ومستقلاً عن الرغبة الجنسية. أما بالنسبة إلى الصبي، فإن التخيلات الجنسية تترافق مع التطورات الوظيفية الجنسية للعضو الذكري. إن التشابك والتفاعل بين الرغبة في الحب المثالي والتوتر الجنسي يستمران عند الفتاة خلال مرحلة المراهقة بشكل غير واضح. الفتاة المراهقة لا تدرك بشكل واعٍ أن الأعضاء الجنسية هي الوسائل التنفيذية لتحقيق رغبة الحب. التخيلات والتصورات في موضوع الحب تجعل الفتاة المراهقة ترفض المبدأ الجنسي لمفهوم اللذة. إن الولد المراهق يربط بسهولة ويوحد بين المشاعر النفسية وأحاسيس التوترات الجنسية والجسدية. الاستمناء والحلم عند الفتاة يأخذان شكلاً يختلف بمضمونه عن حلم الصبي. الاستمناء للفتاة المراهقة يحصل غالباً بطريقة لا واعية، لأن الأنثى غالباً ما تتعرض لأعراض لا واعية من التضليل والتحريف للرغبات الجنسية. إن الإثارة الجنسية يمكن أن يستدل عليها من عوارض جسدية مثل: ثقل المعدة، والصُداع، ودقات القلب غير المنتظمة، والدُوار، والغثيان والتَقيُؤ والرغبة في النوم. هذه الأعراض تستمر عند الفتاة خلال مرحلة المراهقة لتحل محل الرغبات الجنسية المكبوتة[٢].

---

(١) حول الكبت الجنسي والتسامي راجع:

فرويد: ثلاث مقالات في نظرية الجنسية، مرجع سابق، ص ١١٠ ـ ١١١.

(٢) يعتبر فرويد أن هذه المشاعر من الاشمئزاز والأعراض الجسدية تعود إلى رواسب تاريخية لما=

إن آهتمام الفتاة خلال مرحلة المراهقة بموضوع الجنس الآخر، لا يتم بدون حالات من الصراع والاضطراب في الحياة النفسية والعاطفية. إن الخطر الذي يهدد نمو الرغبات الجنسية في الجنس الآخر هو النكوص الجنسي إلى العلاقات العاطفية الطفولية وخصوصاً الأم، أو من تحل محلها: الصديقة، المعلمة. إن هدف مرحلة ما قبل البلوغ للأنثى هو التحرر من التبعية للروابط الطفولية. إن علاقة الفتاة بصديقة من أترابها خلال مرحلة المراهقة قد تأخذ طابعاً جنسياً بالمفهوم الأفلاطوني على المستويين العاطفي والوجداني.

إن الرغبة في الجنسية المثلية تبرز عند الأنثى المراهقة من خلال الاتجاه إلى موضوع للحب ترتبط به بروابط عاطفية ووجدانية، وهذه الرغبة لا تستطيع أن تحققها الرغبة الجنسية في الجنس الآخر على المستويين العاطفي والوجداني. إن الجنسية المثلية عند الفتاة المراهقة غالباً ما تتطور على النحو التالي: الصداقة العاطفية والوجدانية لإحدى الأتراب، الحب العاطفي والوجداني لامرأة شابة لا تعرفها معرفة واضحة إن مشاعر الانفعال العاطفي والوجداني عند الفتاة خلال مرحلة المراهقة تتميز بسمات الحب الذي يتضمن أحاسيس اللذة والألم. هذا النسق من الحب عند الفتاة خلال مرحلة المراهقة يفترض اختزال الارتباط العاطفي بالأم.

إن التمايز البيولوجي بين الجنسين خلال مرحلة المراهقة له أهميته على مستوى نمو الشخصية[1]. إن النشاط الجنسي للذكر يدفعه إلى التفاعل مع الواقع واكتشاف الوسط الخارجي. إن التمايز يبدو واضحاً بين الجنسين خلال مرحلة المراهقة: فانتباه الصبي يبدو مركزاً على العالم الخارجي وموجّهاً إليه، في حين أن اهتمام الفتاة المراهقة يتجه غالباً إلى الحياة الداخلية، مما ينتج عنه السمة المميزة للشخصية الأنثوية وهي الحدْس والذاتية والوجدانية في تفسير الأمور الحياتية وفهمها[2].

= تعرضت له الغريزة الجنسية من أنواع الكف الخارجي إبان النتاءة النفسية للإنسانية.

(١) Le fait féminin. OP. Cit 29.

(٢) OP. Cit P. 243.

إن الفـرق بين الجنسين خلال مـرحلة المراهقـة يظهـر أيضـاً من خـلال الاختلاف في نوع الميول ومواضيع التماهي.

إن المرأة التي تتميز بالطموح والحيوية والإبداع والابتكـار، تعاني غـالباً صعوبات في إشباع هذا الطموح بشكل مباشر، إنها تجهد نفسها للتعويض من خلال التماهي بالرجل. المرأة تكافح بكل طاقتها وحيويتها للتفوق والسيطرة على الرجل، إن العلاقة بالزوج لا تكون بدافع الحب ولكن بهدف إشباع الطموحات الذاتية والخاصة.

مرحلة الطمث عند الأنثى

إن الحدث المهم الذي يؤثر في تطور شخصية الأنثى على المستوى النفسي والعاطفي والفكري والبيولوجي هو موضوع الطمث. إن التغييرات البيولوجية والإفرازات الهرمونية تؤثر تأثيراً مهماً في الناحية النفسية.

سوف نحاول أن نظهر تأثير الحيض كظاهرة بيولوجية في الناحية النفسية للفتاة.

١ ـ تأثير الطمث في نموّ الفتاة النفسي

ما يهمنا من موضوع الحيض هو تأثيره في نموّ الفتاة النفسي. إن مرحلة البلوغ للفتاة تظلّ محتفظة بالانطباعات الطفولية الأولى لموضوع الحيض. خصوصاً إذا كانت الأم تحيط موضوع الحيض بسرية تامة وخوف شديد، حتى لا تكتشف البنت الصغيرة حالة الأم وما تعانيه خلال مرحلة الحيض. إن الهوامات اللاواعية للبنت تجعلها تعتقد أن الأم تعاني أمراً ما، خصوصاً عندما كانت تلاحظ ما تعانيه أمها من الآلام التي كانت تظهر في أوقات منتظمة من كل شهر، وترى المناديل الملطخة ببقع الدم. هذه الأعراض والآثار للحيض تترك انطباعات شديدة التأثير في التصورات الخيالية اللاواعية للبنت، وتجد صعوبة في التفسير الموضوعي لما يحصل.

إن أبحاث علماء النفس التحليلي كشفت أن هناك علاقة بين التأثيرات النفسية الناتجة من الطمث الأولي عند الأنثى وبين تأثيرات عقدة الخصاء.

وقد كشف التحليل النفسي عن العلاقة بين موضوعي الطمث والإنجاب عند

الأنثى. إن قلق الفتاة من رؤية بقع الدم، خلال فترة الحيض، يجعلها تعتقد أنها مجروحة وممزقة من الداخل. هذا الاعتقاد يؤثر تأثيراً قوياً في لا وعي الأنثى. إن التربية وتجارب الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ تلعبان دوراً مهماً في تهيئة الأنثى على المستوى النفسي لانتظار الحدث القادم. إن التربية الجنسية وتوعية الفتاة لحقيقة ظاهرة الحيض بشكل علمي وموضوعي يلعبان دوراً مهماً في تخفيف وطأة الحدث على الناحية النفسية للفتاة[1].

إن الأنثى التي تعيش في وسط عائلي واجتماعي غير ملائم للنمو النفسي والبيولوجي، تعاني من الكبت الذي يسبب التوتر والصراع، خصوصاً إذا كانت الفتاة من النمط الخجول وتجهل حقيقة الأمور الجنسية وتعاشر صديقات أصغر سناً منها. إن الفتاة بسبب الخوف والشعور بعقدة الذنب وتأنيب الضمير من الأمور الجنسية تعاني من كبت المواضيع والأفكار التي تتعلق بالجوانب الجنسية.

هنا نطرح السؤال التالي:

من هي الجهة الصالحة لتوعية الأنثى، خلال مرحلة البلوغ، الأمور الجنسية، بشكل علمي وموضوعي؟.

علماء التربية والنفس يعتبرون أن الأم هي الشخص المفضّل للقيام بدور توعية الفتاة وتزويدها بالثقافة الملائمة بالأمور الجنسية؛ لكن الأم من الناحية النفسية غير قادرة على القيام بهذا الدور بالشكل الملائم، لأن الأم غالباً ما تخفي عن ابنتها المعلومات التي تتعلق بالأمور الجنسية، خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الحيض، لأن الأم تعتبر ذلك سراً والكشف عنه يواجه مقاومة شديدة. بعض الفتيات الأكبر سناً يتحدثن أحياناً أمام الفتاة عن الأمور التي تتعلق بموضوعي الحمل والولادة بأسلوب يطغي عليه الخجل والارتباك[2].

إن الأم تعاني بدورها على المستوى النفسي من العوائق بالنسبة إلى موضوع

(١) سيريل بيبي، التربية الجنسية، ترجمة محمد رفعت، نجيب اسكندر إبراهيم، دار المعارف ١٩٧٥.

(٢) Reuchlin. M. Psychologie, Paris P. U. F, 1977.

الطمث، لأن هذا الموضوع يرتبط بتخيلات وتصورات تثير الخوف والخجل والقلق كأنه خطيئة.

إن المرأة لم تزل تعتبر موضوع الحيض من المحرمات، وبعض الأمهات يعاملن الفتاة المراهقة معاملة قاسية لدى ظهور الطمث لأول مرة.

إن الدراسات الانتروبولوجية أظهرت أن المرأة الحائض في بعض المجتمعات تتمتع بالقدرة على السحر والتنويم المغناطيسي. إن النساء في الأساطير يظهرن بمظهر الساحرات، ولديهن القدرة على تدمير المحاصيل وإهلاكها وإجهاض التوائم، إذا لمست المرأة الحائضة الخمر أصبح خلاً. وهذه المحرمات نجدها عند اليهود الذين يؤمنون بالحمامات للتطهير[1].

إن صورة المرأة عارية خلال الحيض تثير الاشمئزاز، وإن الطمث يتضمن بعض التصورات الخيالية اللاواعية من السحر والشعوذة. هذه التخيلات تجعل المرأة تحيط موضوع الحيض بهالة من الأسرار..

بعض علماء التربية والنفس يعتبرون أن تزويد الفتاة بالثقافة الجنسية خلال مرحلة الطمث يعتبر من الأمور الأساسية لأن الفتاة تواجه صعوبات ومخاطر كثيرة ناتجة من جهلها لموضوع الحيض، مما يؤدي إلى نتائج سلبية على صعيد الصحة النفسية والجسدية للفتاة.

٢ ـ جهل الفتاة لموضوع الطمث وتأثيره في نموها النفسي

الروائي المشهور «أدمون دي غونكور» في روايته الشهيرة «عزيزتي» يصف حالة الخوف التي تواجه بطلة روايته لدى بروز الطمث عندها للمرة الأولى، لأنها لم تكن قد هيئت ووجهت قبلاً لمواجهة هذا الحدث على المستوى العاطفي والانفعالي والنفسي. إن الأنثى المراهقة بوعي أم بدون وعي تعاني صراعاً وقلقاً بسبب الكبت النفسي والفكري في موضوع الحيض. إن الفتاة تكره أمها التي لا تمد إليها يد المساعدة خلال فترة الحيض. إن الأنثى خلال محاولتها اكتشاف

(١) في صدد طريقة التطهير لإزالة الأعراض المرضية راجع:
فرويد: محاضرات جديدة في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص ١٨٤.

بعض الجوانب المتعلقة بوظيفة الأعضاء الجنسية، تبدو كأنها تعاني الشعور بعقدة الذنب وتأنيب الضمير.

إن جهل الفتاة هذه الأمور يجعلها تلقي عبء المسؤولية على أمها التي أهملتها وتركتها تعاني الكبت ولم تساعدها على اكتشاف أسرار موضوع الحيض.

إن الفتاة التي تنتظر قدوم الحيض وتكون قد زودت سواء من الأم أو الصديقات أو الأخت الأكبر سناً، بمعلومات كافية عن الموضوع نادراً ما تفاجأ به. إن الفتاة التي تعاني الكبت والخجل تشعر عند ظهور الطمث الأول بالقلق والعصاب والشعور بعقدة الذنب.

لقد نشرت الصحف الفرنسية منذ عشر سنوات حالة فتاة لها من العمر خمسة عشر عاماً، ألقت بنفسها في نهر السين. وبعد إنقاذها واستجوابها الشرطة أياها. صرّحت بأنها تعرضت لمرض مجهول جعلها تيأس من حياتها وتلقي بنفسها في النهر.

هناك عدد كبير من الفتيات اللواتي حاولن الانتحار خلال مرحلة الحيض، وذلك بسبب غياب الوعي والتربية الجنسية خلال هذه المرحلة. بعض الفتيات يعتبرن أنفسهن يعانين أمراضاً خطيرة خلال مرحلة الطمث[1]. إن المظهر النفسي الأساسي للفتاة خلال بروز الحيض هو القلق، لأن البنت تعتبر البلوغ الجنسي وما يرافقه من أعراض نفسية وجسدية من الأمور الخطيرة التي تهدد أمنها النفسي.

إن القلق الذي تعانيه الفتاة خلال مرحلة الحيض يؤثر تأثيراً سلبياً في نسق النمو والبلوغ بشكل طبيعي. إن الأنثى خلال مرحلة ما قبل البلوغ تعتبر نفسها محاطة بهالة من الأسرار، والفتاة خلال مرحلة المراهقة تنظر إلى الفتاة الأكبر منها سناً نظرة احترام وتقدير، إنها تراقبها باهتمام وترغب في أن تعترف لها بما تعانيه من قلق واضطرابات نفسية.

إن الفتاة المراهقة المزودة بالتربية الجنسية تتصور أن الحيض سوف يحقق

---

(١) Wetzel (R. D), «Suicide and the menstrual Cycle: a review» psychiat 13. P 369 - 374.

لها وضعية أفضل من الفتيات اللواتي يحظين بها، إنها تنتظر أن يُنظر إليها على أنها لم تعد طفلة، وأنها تكتسب حقوقاً جديدة، ورغبتها في أن تكون شابة تسمح لها بالتخلي عن الشعور بالتبعية والخضوع وأن تتحرر من الضغوط المفروضة عليها من الأهل وخصوصاً الأم. إن الصعوبات التي تواجه الفتاة المراهقة تتجسد باتجاهاتها العدوانية وحيويتها الجنسية. إن الحيض بالإضافة إلى كونه إشارة مهمة للبلوغ، يجعل الفتاة تعاني صراع الشعور بالذنب. الفتاة تتعرض أحياناً لانهيار عصبي خصوصاً خلال المرحلة الأولى من الحيض. إنها تعاني الإرهاق النفسي من الحدث المفاجىء مما يجعلها تسعى للتفتيش عن إقامة علاقات جديدة بأشخاص جدد في الوسط الذي تنتمي إليه.

إن الأم التي لا تزود البنت بالتربية الجنسية خلال مرحلتي البلوغ والمراهقة، خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الطمث، تعترف أن ذلك مردّه، لا إلى خجلها من الموضوع، بل لأن الفتاة تشعر بالخجل من أمها لتساعدها على توضيح موضوع الطمث. إن الأم التي تعاني الخجل والكبت، تبدو غير قادرة وعاجزة عن التحدث عن المسائل الجنسية أمام ابنتها؛ إن الأم تنتظر من ابنتها الكبرى أن تساعد أختها وتعتني بها خلال فترة الطمث، في حين أن الفتاة ترغب في المساعدة من الصديقة.

إن موضوع الطمث بالنسبة إلى الأم يرتبط بالتصورات الخيالية وما يرتبط بها من القذارة والروائح الكريهة والقرف.

هذه الانفعالات تبرز من جديد عند الأم عندما تحاول تفسير الموضوع لابنتها. لكن اسلوب تعبير الأم على موضوع الطمث يجعل ابنتها تشعر بالقرف وترفض مساعدة الأم.

إن صدمة الفتاة النفسية خلال مرحلة الحيض الأولى، تجعلها تعاني الإرهاق النفسي. وهذه الصدمة ترتبط بمجموعة من العوامل: عمر الفتاة، المستوى الثقافي والاجتماعي، الوسط الذي تنتمي إليه.

علماء النفس والتربية يعتبرون أن الظهور المبكر للطمث عند الفتاة التي لم

تزل تعامل كطفلة ـ من قبل أهلها وخصوصاً من قبل الأم أو الأخت الأكبر منها سناً ـ يجعلها تخفي بخوف وقلق وخجل الآثار المرتبطة بموضوع الطمث، إنها تخفي آثار الثياب الداخلية الملطخة ببقع الدم داخل جوارير الخزانة أو في الزوايا، الفتاة تحاول الهروب من المعاناة النفسية لموضوع الحيض، من خلال ممارستها للنشاطات الرياضية والفنية: ركض، سباحة، رسم، تلوين..

عكس ذلك، الفتاة التي تعتبر أن الطمث هو إشارة البلوغ والتطور، وهذا الاعتقاد يجعلها تؤمن بوعي أنها أكثر تطوراً من أترابها، وهذا الشعور يخفف من حالات الضجر والضيق النفسي والآلام الجسدية.

٣ ـ الهوامات الخيالية للأعضاء التناسلية وتأثيرها في القلق النفسي لموضوع الطمث

إن الحيض الأول بالنسبة إلى الفتاة التي لم تتجاوز المستوى الطفولي على الصعيد النفسي والتي تعتقد أن وظيفة الأعضاء التناسلية تنحصر في إخراج الفضلات، هذه الفتاة تشعر بالخجل عند مواجهتها الحيض لأول مرة، إنها تحاول أن تخفي بسريّة تامة آثاره الظاهرة، وعندما تفشل في ذلك تشعر أنها ارتكبت إثماً. إن نظرة الفتاة إلى الحيض كموضوع يتسم بالوساخة والقرف مردّه إلى نظرية «القاذورة».

حسب هذه النظرية، فإن كل ما يخرج من ثقوب الجسد وفتحاته يكون وسخاً ومقرفاً. فكرة الوساخة قد تمتد عند الفتاة لتشمل كامل الجسد، حيث تشعر أن الوساخة والقذارة تملآن الجسم بكامله.

إن اعتقاد الفتاة المراهقة بعلاقة مظاهر الحيض بوظائف إخراج الفضلات يجعلها تعاني الإسهال.

إن الفتاة المراهقة التي تعاني استمرارية الاضطرابات النفسية في مرحلتي الطفولة والبلوغ، تعاني الخوف من عدم السيطرة على حصر بول المثانة خصوصاً خلال صعودها أو نزولها السلالم، أو أثناء تسلقها الجبال والتلال والروابي، أو خلال قيامها بحركات انفعالية فجائية خصوصاً أثناء الضحك الشديد. البعض يفسر

هذا الخوف بضعف المثانة، والبعض الآخر يفسره بعوامل نفسية[1].

يعتبر بعض المحلّلين أن عضلة عنق المثانة هي أضعف عند المرأة منها عند الرجل، مما يجعل المرأة تشعر بالإحراج والارتباك خلال المواقف التي تتميز بالتعبير الانفعالي الشديد، وهذا ما يجعلها أحياناً تتخلى عن مظاهر السعادة الاجتماعية (حفلات، دعوات، سهرات)، خوفاً من تلطيخ الثوب أو تلويث الكرسي الذي تجلس عليه. وبعض الفتيات يمتنعن خلال انفعالات البهجة والانشراح والسرور عن إظهار الرغبة في الضحك القوي خوفاً من التبلل. من الصعب القول إن سبب ذلك يعود إلى عوامل نفسية صرفة.

الحالات النفسية تبرز في رفض الفتاة التعبير عن الشعور بالفرح الشديد أو الانفعال الحاد، خوفاً من ارتخاء عضلات المثانة وعدم القدرة على السيطرة على سيلان البول.

بعبارة أخرى، تعتقد الفتاة أن كل إشباع باللذة والسعادة يقابله شيء من الملل والحزن والكآبة. إن الأنثى خلال مرحلة الطفولة المبكرة تتصور أن الصبي يتميز منها بامتلاكه حنفية يستطيع أن يفتحها ويغلقها متى شاء، في حين أنها هي أي البنت تمتلك ثقباً من الصعب مراقبته والسيطرة عليه؛ هذا الشعور يؤدي إلى الإحساس بالدونية: فقدانها القضيب أو الحنفية. حسب هذه التفسيرات، فإن الحيض الأولي بالنسبة للفتاة يبدو وكأنه تفريغ غير إرادي لسائل جسدي. عندما تبلغ الفتاة مرحلة متطورة من النمو يتكون لديها ميل إلى تجنّب الاتصال والاحتكاك الاجتماعي خلال مرحلة الحيض؛ إنها تحاول أن تبرر هذا الشعور والإحساس بالقول إنها تعاني التعب والإرهاق[2].

إن الفتاة التي لديها الاحساس والانطباع بأنها سوف تتعرض للحيض المفاجىء، نراها تحتفظ بالمناديل الصغيرة، وتتجنب مغادرة المنزل. إنها تستعمل موضوع الحيض كوسيلة لتضييق نمط حياتها وأسلوبها.

---

(١) Le fait Féminin, OP: Cit, P. 133.

(٢) Le fait Féminin, «La répartition différentielle des troubles psychiatriques selonle sexe. P. 313.

بعض النساء خلال مرحلة الحيض، يمضين عدة أيام في السرير، على الرغم من عدم إحساسهن بالألم. هؤلاء النساء ينتسبن إلى الفئات الاجتماعية التي يتميز نمط حياتها بالخمول والكسل. إن الرغبة في عدم القيام بأي جهد وعدم مغادرة المنزل ليس مردّهما إلى الإرهاق البيولوجي والجسدي، ولكن السبب الحقيقي يمكن ردّه إلى الهروب من التفاعل مع الآخرين. إن الفتاة خلال الحيض الأول ترغب في إثارة اهتمام الأشخاص المحيطين بها، خصوصاً الأم، إنها ترغب أن تعامل كمسكينة، حتى تحصل على العطف والاهتمام لأنها تشعر أنها تعاني الحرمان العاطفي وأنها مهملة واهتمام الأهل بها يبدو كتعويض عما تعانيه من حالات الاضطراب النفسي. بعض النساء يصرحن بأن الاحساس الناتج من الحيض الأول، كان بالنسبة إليهنّ من أجمل لحظات العمر وأسعدها. إن المرأة كانت تشعر خلال هذا الحيض أنها أشبه ما تكون بجنين يسبح داخل سائل رحم الأم، إنها تنام خلال فترة الحيض في السرير، هادئة مسترخية، وتشعر أنها موضوع اهتمام الجميع ممن يحيطون بها، وخصوصاً الأم، إنها تشعر أنها تحظى بالاهتمام والحنان، وتتميز علاقة الفتاة بالأم خلال هذه المرحلة بالعلاقات العاطفية والوجدانية.

إن الفتاة التي تعاني العصاب النفسي. تتخيل موضوع الطمث مرادفاً للوساخة والقذارة لذلك فهي تبالغ خلال مرحلة الحيض بالاهتمام بنظافة الجسد، خصوصاً نظافة عضوها التناسلي، وتبدو مهووسة بالنظافة، إنها تزيل كل أثر للدم باعتناء مبالغ فيه. «الأنا النرجسي» للفتاة خلال مرحلة المراهقة، يعتبر الحيض كحدث سعيد لمرحلة البلوغ، لكنّ الميول العدوانية تقف حاجزاً أمام هذا الاتجاه خلال المراحل الأولى للحيض، ويتأثر النشاط الجنسي بالوضع النفسي، فتعاني الفتاة الحرمان العاطفي على المستويين الانفعالي والوجداني.

أحياناً يظهر الاتجاه النرجسي للفتاة خلال مرحلة الحيض من خلال التقدير الزائد «للأنا» كموضوع جنسي. مما يجعل الفتاة تعتقد أن الرجل السعيد هو الذي سوف يحصل على «كنزها الثمين».

خلال هذه الفترة، هوامات الفتاة الخيالية تجعلها تعتقد أن أي اتصال أو

احتكاك مهما كان نوعه، حتى البريء منه بالجنس الآخر، يجعلها تشعر بحالات نفسية عصبية، تبدو كأنها فقدت شيئاً عزيزاً وثميناً. الفتاة خلال هذه المرحلة تعاني الإزدواجية والتشتت. إنها تبدو غريبة عن الوسط الذي تنتمي إليه، وتشعر أنها غريبة عن ذاتها، والأنا المثالي عندها يبدو كأنه تصدَّع. التعويض النفسي لحالات الصراع والتوتر يتم من خلال الادراك الخيالي للعضو الجنسي. باعتباره كنزاً ثميناً. هذا الإدراك الخيالي ينتج من جهة بتأثير عوامل التربية والقيم والتنشئة، ومن جهة أخرى، بتأثير الجانب النرجسي للأنوثة.

إن الفتاة، خلال مرحلة المراهقة، تواجه مجموعة من التغييرات الجسدية والنفسية والفكرية والاجتماعية.

علينا أن نشير إلى أن المظاهر النفسية للفتاة خلال مرحلة المراهقة، الناتجة عن الحيض الأول، ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالهوامات الخيالية اللاواعية حول موضوع الإنجاب.

الفتاة خلال مراحل النمو المختلفة تدرك أن للمرأة وظيفتين مزدوجتين: الوظيفة الجنسية، من جهة، ووظيفة الإنجاب من جهة أخرى.

المرأة الناجحة هي التي تستطيع أن توفق بين الوظيفة الجنسية والوظيفة المنزلية. أهم الصعوبات التي تعانيها المرأة تتلخص في: التدبير المنزلي، والاهتمام بالواجبات الزوجية والاهتمام بالأولاد، والإنجاب. فالعلاقة تبدو وثيقة بين الجانب البيولوجي والناحية النفسية.

الهوامات اللاواعية للمراهقة حول موضوع الحيض ترافقها تصورات من الخوف والقلق حول موضوعي الحمل والولادة. وإلى جانب القلق اللاواعي للفتاة من موضوع الحيض، تبرز الهوامات اللاواعية من الخوف والقلق من مواضيع: الزواج، الحمل، الإنجاب، الأمومة....

هنا لا بد من طرح السؤال التالي.

ما هو السبب الذي يجعل بعض النساء يتألمن نفسياً قبل ظهور الحيض، والبعض الآخر يتألمن خلال الحيض؟

إن العامل التربوي والثقافي يلعب دوراً أساسياً في التأثير في العامل النفسي للفتاة خلال مرحلة الحيض.

بعض الفتيات يتخيلن أن الاحتكاك بالذكر خلال مرحلة الحيض أو الإقتراب منه يؤثر في زيادة إفراز الدم. في حين أن البعض الآخر، يعتقد أن القلق يعود إلى الخوف اللاوعي من الحمل الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الحيض[١].

أظهر التحليل النفسي أن الفتاة التي تعاني الخوف والقلق من موضوع الحمل تعبّر عنه بالخوف من الإثارة الجنسية. القلق من الحمل يجعل الفتاة تعتني بالنظافة وتخاف من الجلوس على كرسي ساخن. الهوامات الخيالية اللاواعية تجعل الفتاة تعتقد أن القبلة أو الإثارة الناتجة من القبلة تؤدي إلى الحمل.

(١) Le fait féminin «Apropos du rôle des hormones dans les Comportements» OP. Cit. 305.

مفهوم اللذة الجنسية عند المرأة (الأورغاسم)

إن الفتاة خلال مرحلة المراهقة، تسعى جاهدة لمراقبة وضبط الميول الغريزية وتكوين الإتجاهات لموضوع الجنس بما يتوافق مع متطلبات الوسط الاجتماعي وحاجات الأنا. إن الرغبات خلال فترة المراهقة تستمر في التأثير على شخصية الأنثى خلال مراحل النمو المتتالية.

١ ـ اللذة الجنسية بين الاتجاه النرجسي والميل إلى الجنس الآخر

إن المظاهر البيولوجية للغريزة الجنسية تستمر في التأثير في شخصية المرأة بالرغم من نضجها النفسي والفكري. إن المرأة تعاني تأثير الكبت الجنسي أكثر مما يعانيه الرجل. هذا ناتج حسب المدرسة الثقافية من دور التربية والقيم الأخلاقية والدينية التي تعيق نمو الدوافع الجنسية للمرأة.

إن الحياة النفسية للمرأة تتأثر بكبت الدوافع الجنسية خلال مرحلة المراهقة. إن مفهوم اللذة الجنسية عند الفتاة خلال مرحلة المراهقة يرتبط غالباً بقدرة الدوافع الغريزية على التغلب على التصورات الخيالية اللاواعية حول مفهوم الجنس.

إن ضغط الأنا الأعلى (الضمير) على الدوافع الجنسية للمرأة، يساهم في تحويل جزء من الغرائز إلى دوافع مكتسبة ومقبولة إجتماعياً مما يجعل المرأة تتميز بالقدرة على التضحية والصبر وقوة الإرادة. إن الارتقاء والتسامي باللذة الجنسية يصبح موضوعاً ملازماً لسمات الأنوثة، حيث الفتاة المراهقة تحلم بالحب الأفلاطوني. إنها تحاول أن تلتمس اللذة من خلال الهوام بالحب المثالي، مما يجعلها تعاني من عذاب الحب.

إن الفتاة المراهقة ترغب بالحب والحصول على اللّذة الجنسية من خلال الزواج السعيد. إن كبت الدوافع الجنسية والتسامي بالغريزة الجنسية يزيدان في حدّة المشاعر العاطفية التي إذا استمرت أدّت إلى إعاقة الحصول على الإشباع الجنسي المباشر، مما يجعل المرأة تعاني التوتر الجنسي. وفي سبيل التخلص من التوتر ترتد المرأة إلى النرجسية التي تعتبر من الآليات الأساسية لحفظ «الأنا» وعدم الشعور بالدونية والضعف.

إن استمرارية النرجسية عند المرأة تعتبر من الخصائص الأساسية المميزة لشخصية الأنثى. ويعتبر فرويد أن النرجسية تظهر خلال مرحلة الطفولة من خلال تكوين الأنا، حيث أن جزءاً من طاقة اللبيدو يرتد إلى «الأنا» أو «ألذات» كموضوع للحب، ومن هذا الجزء تنشأ العواطف والانفعالات والشعور باللذة بالمواضيع الداخلية(1). إن النرجسية تعتبر عاملاً أساسياً في نمو شخصية الأنثى، إنها تساهم في دعم الثقة بالنفس.

يعتبر فرويد أن النرجسية عند المرأة تساهم في جذب الآخرين إليها، لأن جاذبية المرأة تزداد بمقدار عشقها لنفسها، والرغبة في أن تكون موضوعاً للحب من الجنس الآخر.

يعتبر بعض علماء النفس التحليليين أن نرجسية المرأة تظهر كرد فعل على الشعور بالدونية لفقدانها القضيب. هذه الفرضية تعتبر أن المرأة خلال مرحلتي الحمل والأمومة تشعر بالاكتفاء والرضى لامتلاكها الطفل. إن الولد يحل محل القضيب. إن قدرة المرأة على الصبر والتضحية من أجل زوجها وأولادها تكون على حساب التضحية بالدوافع الغريزية والجنسية وكبتها.

إننا نعتقد أن هذا الرأي غير كافٍ لتفسير النرجسية. إننا نميل إلى الاعتقاد أن المشاعر النرجسية تنمو خلال مرحلة المراهقة من خلال الصراع بين الدوافع الجنسية من جهة، وبين الأنا من جهة ثانية. الأنا يسعى للدفاع عن الذات. إن الميول الجنسية للمرأة التي تدفعها بإلحاح إلى إشباعها قد تؤدي إلى الانحراف

(1) Freud, «Essais de psychanalyse», Payot, Paris, P. 30.

وتعيق نمو الأنا. إن الأنا يدافع ويسعى لتحقيق الشعور بالأمان من خلال الارتداد إلى حب الذات، الذي ينتج النرجسية.

إن كبت الميول الجنسية للأنثى قد يهدد نمو الأنا ويزيد في حدّة المشاعر المازوشية (اللّذة في تعذيب الذات) التي إذا استمرت أصبحت جزءاً من الأنا وهدّدت الحياة النفسية والعاطفية للأنثى، إن النرجسية هنا تلعب بالمقابل دوراً مهماً في تخفيف الآلام الناتجة من الشعور بالمازوشية.

إن تأثيرات النرجسية في الأنثى متعددة وتختلف باختلاف السمات الشخصية المميزة للأنثى. إن النرجسية تستخدم في بعض المواقف كآلية دفاعية وتساهم في تحقيق الصحة النفسية[1]، وقد تؤدي في مواقف أخرى إلى الاضطراب النفسي وتكون من العوامل المساهمة في نشوء الاضطراب النفسي.

لقد اعتبر فرويد أن النرجسية هي من السمات الطبيعية الملازمة لنفسية المرأة ويعود السبب في ذلك إلى أن البنت الطفلة حين تكتشف غياب عضو الذكر من جسمها تصيبها صدمة نرجسية، وتشعر بالألم لأنها تتصور أن الذكر يحصل من ممارسة العادة السرية على لذة أكثر منها. وإن هذا الألم يكون شديداً إلى حد أنه يحطم كل اللذة التي تحصل عليها البنت من العادة السرية[2]، فتكف عن ممارستها.

تولستوي في كتابه «الحرب والسلم» يعرض لنا نماذج متعددة من النساء النرجسيات اللواتي ينتسبن إلى وسط إجتماعي معين. حسب فرويد، المرأة النرجسية لا تحب موضوعاً خارجاً عن الذات، ولكنها تسعى لأن تكون هي ذاتها موضوعاً للحب. إن موضوع الحب بالنسبة إلى الأنثى يعتبر من السمات الأساسية لشخصيتها. إن الحب عند المرأة هو أشبه بالحرارة التي تشع من النار، إننا نشعر بحاجة إلى الاقتراب من النار حتى نحس بدفء الحرارة.

---

(١) د. عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩.

(٢) Sandor Rocodo «Fear in Castratin in women, Psycho Anlysis No 3 - 4 (1933) P. 425 - 75.

إن المازوشية والسلبية، قد تبدوان عند المرأة كنتيجة للنشاط المتجه نحو الداخل.

يمكننا القول إن النشاط الأنوثي المتجه نحو الداخل يعادل في حدّته وحيويته النشاط الذكري المتجه نحو الخارج. إن الرجل في حالة الإثارة الجنسية يتميز بالعدوانية والتمدد نحو الخارج. في المقابل المرأة تتميز بالسلبية والرغبة في الخضوع والاستسلام والحاجة إلى قوة الدفع والتمدد والحيوية التي تميز الرجل، مما يؤدي عندها إلى تكوي مشاعر المازوشية[1].

هنا لا بد من أن نتساءل: كيف تتكون ماسوشية المرأة؟

يقول «رادو»: «إن الألم النفسي الشديد الذي يحدث للبنت الصغيرة حين تكتشف غياب عضو الذكر يثيرها جنسياً. وهذه الإثارة الجنسية تعوضها من النقص الذي شعرت به، ولكن بما أنها حرمت من الوسائل الطبيعية للإشباع فلا يبقى أمامها إلا طريق واحد للإشباع الجنسي ـ وهو العذاب ـ وهكذا تصبح رغبتها الجنسية ماسوشية، وتستمر على هذا النحو طوال حياتها[2].

٢ ـ العناصر الأساسية لبناء المرأة النفسي

يمكن تلخيص بناء المرأة النفسي بالسمات الأساسية التالية:

١ ـ الدوافع الغريزية للمرأة تتميز بالسمة السلبية ـ المازوشية.

٢ ـ الأنا للمرأة يتميز بالنرجسية.

٣ ـ الإنجاب يؤثر على النمو النفسي للمرأة.

هذه العناصر تتفاعل داخل بناء المرأة النفسي خلال مراحل النمو المتعددة، ابتداءً من مرحلة الطفولة، مروراً بمرحلة المراهقة وصولاً إلى مرحلة الزواج وما تتضمنه هذه المرحلة من مظاهر الحمل والولادة والأمومة، وانتهاء بمرحلة الشيخوخة أو سن اليأس.

(١) Le fait Féminin, «Apropos des Chromosomes sexuels» OP, Cit P. 67.

(٢) Helene Deutsch, «The Significance of Masochism», Journal of psycho - Analysis 11 (1930) P. 48 - 61.

العنصر الأساسي والمهم الذي يحقق الانسجام والتوازن خلال هذه المراحل هو الرغبة في الحصول على اللذة(١).

إن الميول النرجسية للمرأة تدفعها لأن تكون موضوعاً للحب حيث لسان حالها يقول: «إنه يحبني، إنه معجب بي».

إن المرأة ليست فقط شريكة للرجل ومتممة له، بما تتميز به من سمات الأنوثة والقدرة على الصبر والتضحية والصبر. ولكن المرأة لديها القدرة على أن توحي إلى الرجل خلال نشاطاته المتعددة، ببعض الأفكار والمواضيع الجديدة، إن المرأة تشعر من خلال قيامها بهذا الدور بالسعادة والاطمئنان حيث تحاول أن تتكيف مع الرجل بقدرتها على أن تفهمه وتكون الحبيبة والصديقة والمرشدة، مما يزيد في قدرتها على جذب الرجل إليها.

إن المرأة تحاول أن توفق بين مشاعر الحب والدوافع الجنسية لتحقيق اللذة. الرغبة في الأمومة تحقق لها المجال الأفضل لتحقيق مشاعر الحب. التوتر عند المرأة يظهر من خلال الصراع بين الرغبة في اللذة الجنسية ورغبة الأمومة، الصراع يكون عنيفاً وقوياً بقدر ما يزداد التنافس بين الرغبة في اللذة الجنسية ورغبة الأمومة. المرأة الحسنة هي التي تستطيع أن تضحي بالرغبات الجنسية في سبيل تأمين الرعاية والعناية للطفل. إن مازوشية المرأة تهدد رغبتها في تحقيق اللذة، إنها تتعامل مع الموضوع الجنسي من خلال التماهي بدور الأم وما يفرضه هذا الدور من قيم ومعايير وواجبات أخلاقية ودينية واجتماعية.

أ ـ سمات الخضوع والاستسلام وتأثيرها في شخصية المرأة

يعتبر «سيغموند فرويد» أن السمة الأساسية لموضوع التماهي عند الذكر هي في أخذ المبادرة والهجوم، في حين أن موضوع التماهي للأنثى يتميز بالخضوع والسلبية، لكن «فرويد» حاول أن يراجع بعض أفكاره في المرأة خصوصاً فيما يتعلق بمواضيع «السلبية» و«الخضوع» و«الاستسلام» حينما تفوقت ابنته «آنا»

(١) Ch Gellman: «Dimorphism sexuel dans l'érotisme» 1976.

وهي الـوحيدة من كـل ابنائـه الذكور التي أسهمت في العلم والبحـوث العلميـة النفسية.

كتب فرويد يقول: «حقاً إن الوظيفة الجنسية لها أثر كبير في حياة الشخص، لكن علينـا ألا نتجاهـل أن المرأة قـد تكون إنسـانـاً في النـواحي الأخـرى من الحياة»[1].

لاحظ «فرويد» أن الذكر في عالم الحيوان. يظهر خلال ممارسته للجنس الإنفعال العدواني، وهناك على العكس أنواع أخرى من الحيوان تكـون فاعليـة الذكر خلال الفعل الجنسي محدودة، بالمقارنة مع حيوية وظائف الأفعال الأخرى ونشاطها، في حين تكون الأنثى هي الأكثر حيوية ونشاطاً، مثال ذكر «العنكبوت»، حيث يظهر الذكر سلبية خلال ممارسته للجنس. أما النشاطـات الأخرى فتتميـز بالحيوية والنشاط الزائدين، هذا يدلنا على أن الأنثى في مملكة الحيوان تلعب دوراً يتسم بالإيجابية والحيوية خلال الفعل الجنسي أكثر من الذكر[2].

النظرية العامة في علم النفس التحليلي تعتبر أن هناك علاقة وثيقة بين السمة السلبية للأنثى وسمة المازوشية التي تتميز بها.

تعتبـر «هيلين دويتش»: «أن مازوشيـة المرأة تعـود إلى عوامـل بيولـوجية وراثية». إن هذا النشاط الجنسي العدواني «السادي» للبظر يصطدم بذلك المتراس داخل نفس البنت وهو اكتشافها لنقص في جسمها بسبب غياب عضو الذكر. ولهذا فإن الجنس ينحرف دائماً عندها في اتجاه «نكوصي» تراجع إلى المازوشية. وإن هذا النكوص نحو المازوشية يعتبر جزءاً من مصير المرأة التشريحي[3].

في عالم الحيوان يُنظم الإشباع للنشاط الجنسي بواسطة الأنثى، حيث أن العضوية الأنوثية لا تفرز بويضات ناضجة إلا خلال فترات زمنية محددة ومعينة. النشاط الجنسي للذكر يخضع لهذه المراحل. إن أنثى الحيوان تفرز خلال مرحلة

---

(١) Frued, Analysis Terminable and interminable, 1937, Vol 23.

(٢) فرويد محاضرات في علم النفس، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٣) Hélène Deutch, «La psychologie de la femme».

البلوغ الأيضي بويضات قابلة للتلقيح. وهذه الإفرازات تثير الرغبة الجنسية للذكر. كذلك فإن الأنثى خلال هذه المرحلة تبرز لديها الرغبة والميل للذكر. إن النشاط الجنسي عند الإنسان وخصوصاً عند المرأة لا يخضع لإفرازات معينة خلال فترة زمنية محددة. إن النشاط الجنسي للمرأة يرتبط بالإرادة والرغبة في الحصول على اللذة مع ذكرٍ معين.

نستطيع القول إن الإنسان يتميز من باقي الكائنات الحية ببعض السمات المميزة على صعيدي الفعل والممارسة الجنسية (اللسان، القضيب). إن الذكر يستطيع أن يسلب الأنثى حريتها وإرادتها من خلال فعل الاغتصاب أي الامتلاك الجنسي للأنثى بالقوة، نلاحظ ذلك من خلال الملصقات المصورة حيث يظهر القرد أو الدب ماسكاً بين يديه أنثى جذابة، هذا المشهد يذكرنا بالإنسان البدائي وكيفية سيطرته على المرأة وإخضاعها دون إرادتها لرغبته الجنسية. إن منظر القرد بذراعيه القويين، أو الدب الذي ينقذ فتاة جميلة من خطر يهدد حياتها، يتضمّن دون شك مدلولاً جنسياً.

إن الفتاة خلال مرحلة ما قبل البلوغ والمراهقة تتصور من خلال الهوامات الخيالية أنها مهددة من قبل مخلوق قوي يحاول أن يغتصبها، الهوام الخيالي يظهر هذا الكائن بشكل مخلوق نصفه إنسان والنصف الآخر حيوان، إن هذا الكائن العجيب الذي يظهر في هوامات الفتاة الخيالية يكشف عن طبيعة الأنثى المازوشية والرغبة في الجنس.

إن الحلم هو وسيلة للتعبير عن الطبيعة البدائية للمرأة، إن المشاهد والصور الجنسية غالباً ما تظهر المرأة في حالة الضعف والاستسلام، إن هذا مرتبط بدوره بوظيفة الإنجاب والأمومة وما يرافقهما من مشاعر وجدانية وعاطفية.

إن ما يثير المرأة جنسياً ويحقق لذتها هو الإدخال القوي والصلب للقضيب وما يرافق ذلك من القبلات الحارة وتعابير الإعجاب، إن الجنس هنا يبدو منفصلاً ومستقلّاً عن وظيفة الإنجاب. إن نعومة بَشْرة الأنثى يظهر تمايزها الجنسي من الذكر، ويساهم في التعويض من النقص في الإعضاء الجنسية، إذ الأنثى تثار كلياً خلال اللذة الجنسية، إن الاعتقاد اليوناني بالإثارة الجنسية للأنثى يظهر من خلال

صورة الآلهة «ليدا» حيث الإله يتمثل بشكل طائر البجع يغطي المرأة بريشه، هذا المشهد هو تعبير عن مفهوم اللذة عند المرأة حيث أن اللذة الجنسية تسري في كل خلية من خلايا جسدها[١].

إن الرجل من خلال إثارته لسطح جلد المرأة فإنما يسعى إلى امتلاك أعضائها الجنسية، في حين أن الإثارة لعضو الرجل الجنسي، إنما تثير فيه الحيوية والنشاط وتدعه إلى السلوك العدواني. إن المرأة بحاجة لكي تثار جنسياً لا إلى ملامسة سطح الجلد فحسب وإنما إلى سماع الإعجاب والتقدير التي تثير فيها مشاعر الحنان والحب والرغبة في العطاء والاستسلام.

إن السلوك الجنسي عند المرأة يمكن مقارنته بوظائف خلاياها الجنسية. إن بويضة المرأة «Ovule» عندما تخرج من المبيض «Ovaire» فإنها لا تتحرك، إنها تنتظر الحيوان المنوي الذكري «Spermatozoide» الذي يتميز بالحركة والنشاط. إن اتجاهات الرجل والمرأة خلال الفعل الجنسي تعكس التمايز بين الإفرازات المنوية لديهما، حيث أن الأنثى تأخذ وضعية التبعية والسلبية في حين أن الذكر يأخذ وضعية الإقتحام والتسلط والهيمنة بما يتميز به من النشاط والحيوية والقوة خلال ممارسته للجنس. كذلك فإن التمايز بين الرجل والمرأة يبرز من خلال وظيفة الأعضاء الجنسية لكليهما. إن قضيب الذكر يتميز خلال الفعل الجنسي بقوة التمدد والانتصاب والإدخال، في حين أن عضو المرأة الجنسي «المهبل» يتميز بالسلبية من خلال تلقيه ردّة فعل عضو الذكر الجنسي، إن الفعل الجنسي للمرأة الذي يتضمن الهيمنة والتسلط والحيوية والنشاط، يبدو معارضاً لطبيعتها الأنوثية، إن الشبق الجنسي للمرأة يمكن ردّه لأسباب نفسية أهمها: رفض المرأة لدورها الأنثوي السلبي. والميل للتماهي في الرجل، مما يدفعها إلى القيام بدور حيوي ونشط خلال ممارستها للفعل الجنسي[٢].

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: مدى تأثير التركيب البيولوجي

(١) Le Fait Féminin, OP, Cit P. 53.

(٢) فرويد، الحضارة ومنغصاتها، الفصل الرابع، ١٩٣٠ دمشق.

والفيزيولوجي للمرأة في البناء النفسي لشخصيتها، إن التحليل النفسي يبين تأثير التمايز الجنسي في مظاهر الحياة النفسية والسلوكية لدى الجنسين. إن التحليل النفسي يبين أيضاً أن الظواهر النفسية تتأثر بالتربية والقيم الإجتماعية التي تميز بين الجنسين. إن فهم شخصية المرأة يتم من خلال فهم التركيب البيولوجي للمرأة وما ينتج عن هذا التركيب من آليات وصراعات داخلية، يضاف إليها العوامل الخارجية والظروف الثقافية التي تتعارض أو تتوافق مع الحياة النفسية الداخلية للمرأة. «مرغريت ميد» خلال دراستها الانتروبولوجية للقبائل البدائية، استنتجت أن المرأة في القبيلة تقوم بدور إيجابي وفعّال، في حين أن الرجل يقوم غالباً بالأعمال التي تعتبر عادة من اختصاص المرأة: «التدبير المنزلي، الطهي، رعاية الأطفال»[1].

إن التحليل النفسي يعتبر أن رفض المرأة لجنسها ودورها الأنثوي يعود غالباً إلى ما يسمى «بعقدة الاسترجال للمرأة».

إن المرأة على مستوى الهوامات الخيالية اللاواعية لديها رغبة بامتلاك القضيب، هذه الرغبة اللاواعية تمارس تأثيراً كبيراً على نمو شخصية المرأة خلال مراحل النمو المتعددة.

ب ـ التمايز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين وتأثيرهما في تحقيق اللذة الجنسية للمرأة

إن التمايز بين الجنسين ليس مردّه إلى الفروقات البيولوجية. ولكن ما تتعرض له الأنثى من القيود والمحظورات الإجتماعية خلال مراحل النمو المختلفة يجعلها تعاني الخوف والكبت والعقد النفسية والجنسية التي تؤثر في نموها وبلوغها:

إن التحليل النفسي يعتبر أن الرغبة الجنسية يعبر عنها خلال مراحل الولادة والطفولةوالمراهقة بأساليب مختلفة. (مص الولد ثدي أمه، مص الولد إصبعه، لمس الأعضاء الجنسية)[2]. إن التمايز البيولوجي والاجتماعي بين الرجل والمرأة

---

(١) الحافظ نوري، «المراهقة» المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١.

(٢) Ferenczi, Psychanalyse, Paris, Payot 1969, P. 63.

والضغوط الشديدة على المرأة تزيد في إحساس الرجل بالحيوية والنشاط والإيجابية والسيطرة فيميل الرجل إلى الإنانية والسادية (الرغبة في سماع آلام المرأة والتأوهات أثناء الولوج العميق للقضيب)، وتزيد في إحساس المرأة بالسلبية والتبعية مما يؤدي بها إلى الخضوع والمازوشية (الرغبة في استشعار الألم).

إن سلبية المرأة ليست فطرية ولكنها نتيجة ضغوط المجتمع. تقول مرغريت ليد: «إن الفتاة تتعلم أن تجلس وتضم ساقيها وتحافظ على بكارتها وتخجل من جسمها. ثم تنتظر دورها السلبي في الحياة كامرأة.

أما الولد فيحرك ساقية بحرية ويفخر بجسده، ويدخل عالم الرجال بإيجابية. ولو أن البنت تلقت التربية نفسها التي يتلقاها الولد لما كانت هناك تلك الفروق بين الرجل وبين المرأة أو بين الرجولة والأنوثة.

وتقول سيمون دي بوفوار: «إن صفات الأنوثة نتاج صناعي لوضع المرأة السفلي في المجتمع».

وكتب كينيث ووكر في كتابه (الجنس والمجتمع):

«إن إحساس الذكر بذكورته والأنثى بأنوثتها، ومعنى هذا الإحساس، وفرص إشباع الرغبة الجنسية، والظروف التي يحدث فيها هذا الإشباع، كل هذا يخضع للمجتمع من حولهما وما فيه من تقاليد وضغوط في البيت أو في المدرسة.

المدرسة الثقافية تعتبر أن نرجسية الأنثى ليست ناتجة من طبيعتها الفطرية الموروثة ولكن البنت تتدرب منذ الصغر على أن تهتم بجسمها وملابسها وزينتها طوال الوقت، وأن تشغل وقتها بتسريحة الشعر، والترجّح على كعبٍ عالٍ رفيع، ووضع المساحيق والظلال والخطوط، مما يجعل الأنثى تعيش هذا المفهوم الضيق للجمال، وينتهي الطموح عندها بالعثور على الزوج، وأن يصبح الزوج هو كل حياة المرأة أما الزوجة فليست إلا جزءاً من حياة الرجل.

إن التربية تجعل طاقة اللبيدو (الطاقة الجنسية) تنحرف وتصرف في اتجاه آخر غير اتجاهها السليم، مما يسبب للمرأة كثيراً من الأمراض النفسية والعصبية. وما تعانيه المرأة من آلام شديدة أثناء الطمث أو الولادة ليس إلا بسبب انحراف هذه

الطاقة عن مسارها الطبيعي. إن تحطيم الطاقة الجنسية يحطم بدوره نفسية المرأة ويشوهها.

يقول «داڤيد كوبر»: «إن التربية الحديثة تمنح الطفل الأدب والطاعة وتفقده نفسه وشخصيته».

ويقول كينيث ووكر: «إننا نتعلم من المهد إلى اللحد أن نستبدل القبول الاجتماعي بقيمة أنفسنا والتكيّف الاجتماعي بتكامل شخصياتنا وأرواحنا[1].

إن المجتمع يعتبر أن التفوق والنبوغ هما من صفات الرجل، فإذا ما أثبتت إمرأة نبوغها فإنها تفقد شخصيتها كامرأة وتصبح أشبه بالرجل.

إن الرجل هو السادي الذي يقتحم ويغتصب ويكسر، والمرأة هي المازوشية التي يقع عليها الاقتحام والاغتصاب والتكسير، الرجل هو الفاعل دائماً والمرأة هي المفعول به، الرجل هو الإيجابي، والمرأة هي السلبية. المجتمع يفرض على المرأة أن تكون السلبية وأن تكون مازوشية ثم يسمي السلبية والمازوشية طبيعة المرأة. إن فرويد يعرّف الرجولة بالسادية والأنوثة بالمازوشية.

إن الحب الرومانطيقي يحصل حين تفصل الفتاة بين جسد الرجل والرجل ذاته. فبحكم التربية والتقاليد تربط بين الإثم والاتصال بجسد الرجل ويكون الرجل الوحيد الذي يناسب كبتها هو أن تطلق العنان لخيالها وتصنع رجلاً وهمياً. وحينما تكبر وتتزوج تصاب بخيبة أمل، إذ تجد حقيقة الرجل أقل من الخيال، ويصدمها أن تجد للرجل جسداً وعضواً للتناسل، وأنه يبصق، ويدخل المرحاض ويبول، ولا تصيبها قبلة الرجل الحقيقية بتلك الرعشة التي كانت تحدث لها مع فارس الأحلام. ويمكننا أن نتصور مدى التعاسة التي تعيشها الفتاة في أول حياتها الزوجية.

وقد كتبت جيرمان جريرفي هذا المعنى تقول: «وكمعظم البنات كنت أحلم

---

(١) د. نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٩٠.

بفارس الأحلام الذي سيحملني على جواده الأبيض ويوقظني بتلك القبلة السحرية التي قرأت عنها في روايات الأدب الشهيرة، ولكن حينما جربت القبلة الأولى والثانية وغيرها من بعد ولم أحصل على النتائج التي كنت أتوقعها شعرت بخيبة أمل كبيرة. ولم يحدث إلا بعد سنوات وبعد أن خبرت الوصول إلى قمة اللذة في الجنس (الأورغاسم) أنْ عرفت فجأة معنى تلك القبلة السحرية التي قرأت عنها»[1].

(١) د. نوال السعداوي، مرجع سابق.

مفهوم عقدة الرجولة عند المرأة

إن العوامل التي تؤثر في نمو شخصية المرأة ناتجة من تشابك العناصر البيولوجية والنفسية والفسيولوجية والاجتماعية تفاعلها وتعارضها. العوامل النفسية تختلف باختلاف الأفراد من ناحية الاستعدادات والقدرات الفسيولوجية والبيولوجية والسمات الوراثية، فضلاً عن تأثير الوسط الاجتماعي والثقافي[1]. يعتبر التحليل النفسي أن النمو النفسي لشخصيةالمرأة يرتكز على متغير العامل البيولوجي خلال مراحل النمو المختلفة.

١ ـ الأسباب النفسية والجنسية والاجتماعية لمفهوم عقدة الرجولة عند المرأة

إن عقدة الرجولة عند المرأة تتميز بميل المرأة إلى السيطرة والعدوانية والتي تتعارض مع طبيعة المرأة الفطرية (الخضوع والماسوشية)، يضاف إلى ذلك تأثير الوسط الاجتماعي وما يتضمنه من نظام القيم والمعايير الذي يحدد توزيع الأدوار بين الجنسين. من هنا فإن عقدة الرجولة عند المرأة تبدو كنقيض لميولها الأنثوية وكحاجز لدورها الطبيعي (الحمل، الولادة، الأمومة)، إن المرأة المسترجلة غالباً ما تعاني اضطرابات وصراعات نفسية تنعكس عليها في حياتها العاطفية ومظاهرها سلوكها خلال مراحل (الحيض، الحمل، الولادة. . .).

إن المرأة المسترجلة تبدو ضحية حلقة مفرغة من أنواع الصراع النفسي. إن

(١) صلاح مخيمر وعبده ميخائيل، «سيكولوجية الشخصية» الأنجلو المصرية ١٩٦٨.

الخوف اللاواعي من الأنوثة يؤدي إلى بروز الميول الذكرية ويساهم بدوره في زيادة حدّة الصراع والقلق النفسي. هذا الخوف يرتبط بوظيفة الإنجاب.

نستطيع أن نستنتج أن عقدة الرجولة عند المرأة ناتجة بشكل أساسي من الانحراف بالميول المحدّدة بيولوجياً للمرأة.

تقول كارين هورني: «إن الرغبة التي يظهرها عدد كبير من النساء والبنات في أن يكنّ ذكوراً ليست بسبب جسد عضو الذكر والرغبة في الحصول عليه ولكن بسبب حياة الأنثى المفروضة عليها من المجتمع، أي أن هذه الرغبة ليست أصيلة في المرأة، أو البنت بسبب تكوينها النفسي ولكنها رغبة ثانوية نشأت من أسباب اجتماعية وثقافية[1].

علينا أن نشير إلى أن عقدة الرجولة عند المرأة ليست ناتجة فقط من رفض الوظائف الأنوثية ولكنها تتضمن أيضاً الخوف والقلق من هذه الوظائف.

تعتقد هورني أن الهوامات الخيالية اللاواعية حول الخوف من الأمومة والبرود الجنسي تعود في بعض الحالات إلى خوف المرأة الدفين بسبب كبر حجم رأس الطفل بالنسبة إلى فتحة المهبل[2]. من مظاهر الصراع الذي نلاحظه بين الأنوثة وعقدة الرجولة هو الشعور بالدونية، حيث تشعر المرأة أن هناك تعارضاً بين سماتها الشخصية وما تطمح إليه وتخطط له. الصراع بين رفض الدور الأنوثي والتماهي بدور الرجل يؤدي إلى الاضطراب النفسي. إن المرأة تشعر بالخوف من منافسة الرجل لأنها تعاني قلق الفشل في الدور الذكري الذي تقوم به.

في حالات أخرى، الدوافع الذكرية للمرأة المسترجلة قد تستثمر في نشاطات قد تتعارض مع القيم الإجتماعية للدور الأنوثي. مثال على ذلك:

إن المرأة التي تنجح في القطاع المهني الذي يحقق إشباعاً لطموحها، غالباً ما تعاني القلق والشعور بالذنب حيث تعتبر أن النجاح يحصل على حساب الزوج والأولاد، إنها لا تستثمر مشاعرها وعواطفها في خدمة الأمومة.

---

(١) Karen Horney. Femine psychology, 1973, P. 63.

(٢) OP, Cit. P. 69 - 70.

إن عقدة الرجولة قد تبدو أكثر وضوحاً عند النساء اللواتي يمارسن أعمالاً تعتبر حسب القيم والمعايير الاجتماعية من اختصاص الرجل. إن نجاح المرأة في العمل الاجتماعي والمهني يبدو كنتيجة لاختزال السمات الأنوثية. إن نجاح المرأة في الميدان الفكري قد يجعلها تفقد بعض مظاهر الأنوثة لأن النشاط الفكري والنجاح في المجالات العلمية والمهنية يمتصّان عصارة الحياة العاطفية للمرأة ويؤديان إلى البرودة الأنوثية[1]. إن المرأة التي يسيطر عقلها على عاطفتها وتسعى للتفتيش عن المعرفة العلمية التي تعتبر من اختصاص الرجل، قد يؤدي بها ذلك بدون شك إلى بروز سمات الرجولة. غالباً ما نلاحظ في المجتمع عدداً كبيراً من النساء اللواتي تطغى لديهن الناحية الفكرية على الجوانب العاطفية والأنوثية. إن المرأة في هذه الحالة تبدو وكأنها تستبدل المديح الاجتماعي الكاذب «بجاذبية الأنوثة»، وما تجسده من الإثارة الجنسية. إن المرأة المسترجلة لا ترغب عادة في التنافس مع الرجل الذي تعمل معه في نفس الميدان، لأنها بما تتميز به من ذكاء وحدس تدرك حدود طاقاتها، إنها تسعى جاهدة للتنافس والسيطرة على باقي النساء، إن المرأة المسترجلة تقدر وتحترم الرجل الذي تشعر نحوه بالتعادل والتساوي، إنها تهوى التماهي في الرجل، لا يهمها التماهي في المرأة من خلال سمات الأنوثة والحدس والعاطفة الوجدانية، همها الوحيد جذب الرجال حتى ولو أغرقوها بالمديح الكاذب.

إن عقدة الرجولة لدى المرأة تعتبر كنتيجة مباشرة لنقص في الأنوثة. المرأة التي يغلب نشاطها الفكري على الجانب الأمومي هي المرأة التي تفتقر إلى سمات الأنوثة والتي لم تستطيع أن تتخذ من أمها موضوعاً للتماهي. إن هذا النمط من النساء كنَّ قد اتخذن في مرحلة الطفولة الأولى الأب كنموذج للتماهي، مما أدى إلى اختزال موضوع الأم وغيابه.

نستطيع أن نستنتج أن هناك علاقة وثيقة بين العدوانية وعقدة الرجولة لدى المرأة. إن المرأة المسترجلة غالباً ما تتميز بالسمات العدوانية. لنأخذ مثال للمرأة المسترجلة، تلك التي تركها زوجها وفشلت في إيجاد حب بديل، وابتعد عنها ابنها

(١) محاضرات جديدة في التحليل النفسي مرجع سابق، ص ١٥٦.

البكر الذي كانت تربطها به علاقة عاطفية قوية، كانت تعتبر نفسها أنها على صواب وأنهم جميعاً على خطأ. يبدو ذلك بقولها: «بالإجمال إنني لم أخسر شيئاً، بل هم الذين خسروا وسوف يندمون على ذلك».

من نماذج المرأة المسترجلة تلك التي تسعى باستمرار لتغيير موضوع حبها، غالباً ما تهوى نمط النساء اللواتي يتبرجن ويرتدين الملابس الشبيهة بملابس نساء الهوى والبغاء.

إن المرأة المسترجلة لا تعي غالباً أنها تعاني عقدة نفسية ولا الاشمئزاز الذي تشعر به نحو جنس المرأة، إنها تجهد نفسها بوعي أو بدون وعي لتبدو بمظهر الرجل الذكي والمتفوق.

لقد أظهر التحليل النفسي أن تخلي المرأة المسترجلة عن موضوع الأنوثة والميل إلى الرجولة له أسبابه المعقدة. إن النسق النفسي خلال مراحل النمو المتعددة وما يولّده من مظاهر الصراع هو الأساس في عقدة الرجولة. سوف نعرض بعض أنواع الصراع النفسي التي ترتبط بعقدة الرجولة. إن تماهي الفتاة خلال مراحل الطفولة في موضوع الأم هو الأساس في تنمية الاتجاه الأنوثي.

إن التخلي عن التماهي في موضوع الأم والتقليل من قيمة الأم خلال مراحل الطفولة بوعي أو بدون وعي يعتبر الأساس في إعاقة نمو الجانب الأنوثي، مما يدفع الفتاة، إلى التماهي في الأب أو في من يحل محله. إن البنت في هذه الحالة تكبت الجانب الأنوثي، أما الجانب الآخر من الشخصية المتماهي في الأب فهو الذي ينشط ويؤدي إلى بروز عقدة الرجولة.

إن كبت الجانب الأنوثي يؤدي إلى إضعاف الناحية العاطفية والوجدانية وتقوية الناحية الفكرية.

٢ ـ غياب موضوع التماهي وتأثيره في عقدة الرجولة عند المرأة.

إن غياب موضوع التماهي عند المرأة يؤدي غالباً إلى الانفصام في الشخصية، حيث نلاحظ أن الجانب العاطفي والأنوثي يكبت. في حين أن الجانب الآخر من الشخصية الذي يتميز بقدرة التحليل الفكري والنقدي هو الذي

يتّجه نحو الواقع. هذا الجانب تطغى عليه سمات الشخصية الذكورية. علينا أن نشير أن الجانب الأنوثي والعاطفي هو الأساس في إثارة جنس الذكر وهو الذي يحقق للشريكين الفعل واللذة الجنسية، إن غياب مظاهر الأنوثة يكشف كبتاً وتسامياً نحو مواضيع أخرى لا تتسم بالعاطفة والوجدانية.

إن مثال الصراع بين الأنوثة وعقدة الاسترجال نجدها عند الروائية الفرنسية المشهورة «جورج صاند» حيث تظهر بصورتين متناقضتين للمرأة.

الصورة الأولى، تمثل المرأة التي تتميز بعاطفة الأمومة إنها تجلس وأولادها على ركبتيها. في حين أن الصورة الثانية تمثل امرأة لها سمات الذكر، إنها ترتدي بزة الرجل، شعرها قصير، تضع سيكاراً في الفم. هاتان الصورتان تظهران الازدواجية في شخصية المرأة المسترجلة، إنها تمثل الصراع بين الميول الذكرية والميول الأنثوية، إنها النموذج الكلاسيكي للمرأة ـ الرجل.

هذا الكائن الغريب الذي يبدو كأنه يملك روحاً ذكرية في جسد امرأة، إن الأسباب العميقة التي دفعت الروائية «جورج صاند» إلى كبت الجانب الأنوثي في شخصيتها يكمن في تجاربها الطفولية. هذه التجارب أعاقت نمو الجانب الأنثوي وحرمت الكاتبة من تحقيق سعادتها.

إن «جورج صاند» كما نعلم عاشت حياة قاسية وعانت من الرجال، لقد اختارت عشاقاً لها من الرجال الذين يتميزون بالسمات الأنثوية. إن عازف الأوركسترا المشهور «شوبان» كان إحدى ضحايا جورج صاند. لقد كان يملك السمات الأنثوية.

لقد اختارت «جورج صاند» هذا النموذج من العشاق الرجال، لأن الجانب الذكوري من شخصيتها يهوى الرجال الذين يتميزون بسمات أنثوية.

بالرغم من الحدس الخارق لدى الكاتبة «جورج صاند» فإنها كانت تعاني من إزدواجية الشخصية. الجانب الواعي من الشخصية يؤمن لها حياة طبيعية. أما الجانب الآخر فإنه كان يبرز في روايتها تحت أسماء مستعارة وضمن شخصيات متعددة. إن «جورج صاند» تبدو كأنها تكره ذلك الجانب اللاواعي من شخصيتها.

إن رغبة المرأة في امتلاك القضيب يستدل عليها بمظاهر سلوكا الخارجي، حيث ترغب في تقليد الرجل من ناحية العمل والملابس وقص الشعر وطريقة الجلوس والتحدث، إنها لا تسعى أن تكون موضوعاً للحب من قبل الذكر، إنها تهتم بالمواضيع التي تثير اهتمام الرجل، ولا تعير إهتمامها المواضيع التي تثير اهتمام الجنس المؤنث.

الرغبة الأخرى عند المرأة في امتلاك القضيب تتجسد بالرغبة في أن تملك ولداً، إن الولد كما نعلم هو تعبير عن الأمومة والأنوثة: هذه الرغبة قد تأخذ شكلاً ذكورياً إذا اعتقدت المرأة أنها هي التي أنتجت الولد وأنه يخصها دون إعارة أي اهتمام لدور الزوج، إنها تعبر عن ذلك بالقول: «إنه إبني، أنا أمه وأبوه» إنها تبدو كأن ليس لديها الرغبة أو الحاجة إلى وجود رجل يشاركها الاهتمام بالولد[1].

إن الرغبة في القضيب وعقدة الاسترجال تظهران عند المرأة، عندما يتخذ الاتجاه الأنوثي اتجاهاً ذكورياً حيث ترغب المرأة أن تبرهن من خلال ابنها أنها قادرة على خلق شيء ما بقوتها الذاتية وأن الولد هو الإنتاج لعضويتها الجسدية فقط.

إن علم النفس التحليلي أظهر أن الهوامات الخيالية للمرأة المسترجلة لا تسعى لإنجاب الولد من أجل إشباع رغبة الأمومة وتحقيقها. ولكن الرغبة بالولد ناتجة عن التعويض من النقص الجسدي الذي تعاني منه، وتوكيداً للذات من خلال الوظيفة البيولوجية للجسد. إن دور الرجل هنا يختزل إلى حدّه الأدنى، إن رغبة المرأة في الاسترجال تبدو من خلال الهوامات الخيالية اللاواعية. إن هذه الهوامات قد تصبح واعية عندما تسعى المرأة بوعي منها إلى الاسترجال.

(١) محاضرات جديدة في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص ١٥٢.

تأثير الوسط الاجتماعي في شخصية المرأة

إن هدف التربية ليس تهيئة الفرد للتكيف والاندماج مع الواقع فحسب وإنما يسعى إلى تنمية القدرات والاستعدادات النفسية والفكرية والجسدية والاجتماعية للشخصية لتحقيق الاستقرار والتوازن والرفاهية للإنسان. إن الفـرد لكي يتكيف ويندمج في الواقع الذي ينتمي إليه ويتفاعل معه يحتاج إلى فهم أبعاد هذا الوسط على الصعيد الاجتماعي والثقافي وإلى امتصاص القيم والمعايير الاجتماعية والخلقية والروحية.

إن إشباع الحاجات والدوافع النفسية والفكرية والبيولوجية يرتبط بحالة الفرد العاطفية والوجدانية. إن علاقة الفرد بالمحيط تتكون منذ البداية من خلال العلاقة العاطفية التي تربط الفرد بالوسط الذي ينتمي إليه ويتفاعل معه. إن الفرد يشعر من جهة أنه بحاجة إلى جماعة ينتمي إليها تؤمن له الحب والأمان، ومن جهة أخرى فإن الفرد يخاف من الوحدة والعزلة خصوصاً على المستوى العاطفي. إن الإنسان من خلال الحب يستطيع أن يتغلب على دوافعه العدوانية، إن مظاهر السلوك العدواني تبرز خلال الحياة اليومية: الجسد، الشعور بالمنافسة، الكراهية. إنها مشاعر وأحاسيس ترافق الإنسان من المهد إلى اللحد.

إن تفاعل الفرد مع الوسط الثقافي الذي ينتمي إليه تسمح بإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية وما تتضمنه من قيم ومعايير وعادات وتقاليد.

إن العائلة تعتبر الوسط الاجتماعي الأول الذي يسمح للفرد بتنمية قدراته واستعداداته النفسية والفكرية والبيولوجية التي تعتبر الأساس في تطور الشخصية المستقبلية.

١ ـ السلوك بين الدوافع الفطرية والنظم الاجتماعية والثقافية

إن دوافع السلوك رغم أنها في جذورها تعود إلى الطبيعية البيولوجية والفطرية للإنسان إلا أنها تتأثر من ناحية إشباعها بالعوامل الثقافية والاجتماعية. إن الحيوانات تتصرف أحياناً لا انطلاقاً من دوافع غريزية فقط ولكن تحت تأثير الوسط. إن الكلب يهاجم خصمه لا لينتزع عظمة منه ولكن عندما يرى أن صاحبه يتصرف بحنان ورفق مع الكلب الخصم. إن الكلب قد يهمل الغذاء الموجود أمامه، الغذاء الضروري لإشباع غريزة البقاء، إذا رأى أن خصمه يتلقى المحبة والحنان أكثر منه، الملاحظة العميقة لعلاقات الصداقة بين أفراد قطيع البقر، تبين أن لدى هذه الحيوانات سلوكاً مشابهاً لتصرف الإنسان.

إن لحس الجلد مثلاً يرتبط بحاجة فيزيولوجية حيث يعبر عن إحساس باللذة. إن التفاعل بين عناصر قطيع البقر تبين أن المنافسة بين أفراد القطيع تشبه إلى حدّ كبير المنافسة الموجودة داخل المجتمع الإنساني.

إن الوسط العائلي الذي يتفاعل ضمنه أفراد الأسرة يساهم في إثارة الرغبة والميل إلى المنافسة من أجل الحصول على ثقة الأهل ورضاهم. إن الدوافع الغريزية، خصوصاً فيما يتعلق بتوكيد الذات، قد تتفوق أحياناً على تأثير التنشئة والتربية.

إن المراهق يجد أحياناً صعوبة في التكيف مع متطلبات الوسط الاجتماعي. إن شعور المراهق بالوحدة وعدم الأمان من جهة، والقلق من الدوافع العدوانية من جهة أخرى تجعله يدخل في صراع مع نفسه أو مع المجتمع[١].

إن الشخصية تعاني من الصراع النفسي خلال مراحل النمو المتتالية. هذا الصراع تزداد حدته من خلال التفاوت والتباين بين دوافع المراهق الذاتية ومتطلباته وبين ظروف المجتمع الذي ينتمي إليه. إن الفرد الذي يعاني من إختلال التوازن النفسي والبيولوجي يصبح إذا دام ذلك عصابياً. هذا التأثير يرتبط إلى حدّ كبير بتفوق تأثيرات الوسط على إمكانيات الفرد الداخلية والذاتية واستعدادته وطاقاته.

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩.

إن النسق النفسي للشخصية يختلف باختلاف الوسط الثقافي مما يؤثر في تكوين البنية النفسية بما يتلاءم مع متطلبات الواقع الاجتماعي والثقافي. إن الاختلاف في النماذج الثقافية يؤدي إلى تمايز الحياة النفسية للأفراد. إن العوامل الثقافية تؤثر فقط في مظاهر السلوك الإنساني وفي طرائق الإشباع للدوافع الغريزية والبيولوجية وووسائلها، إنها تؤثر أيضاً في التكوين العضوي والفكري والنفسي للشخصية. إن الحياة النفسية والعصابية تتأثر إلى حدّ كبير بالنماذج الثقافية والقيم الاجتماعية. هذا ما نلاحظه أثناء الأزمات الاقتصادية والسياسية. حيث أن حدّة الصراع والمنافسة بين الأفراد تشتد بقدر ما تهيمن مشاعر الانانية والفردية مما يؤدي إلى ازدياد مشاعر الصراع والخصام بين الأفراد والجماعات من جهة وبين الفرد والمجتمع من جهة أخرى. إن الجماعة تسعى لتأمين الحماية والأمن للأفراد الذين ينتمون إليها مما يخفف من مشاعر العدوانية والفردية السائدة في المجتمع[1].

إن المرأة غالباً ما تعاني في المجتمع من التبعية والخضوع لا على الصعيد البيولوجي فقط ولكن أيضاً على المستويين الثقافي والاجتماعي. إن الرجل يستثمر تبعية المرأة وخضوعها من أجل تحقيق رغباته الجنسية وإشباعها. إن الرجل يستفيد غالباً من ضعف المرأة البيولوجي وشعورها بالدونية خلال الصراع الاجتماعي. للتدليل على ذلك علينا ملاحظة المرأة في الدول الصناعية المتقدمة حيث تعمل المرأة في المصانع بدون رحمة. النظرية الاقتصادية تعتبر أن النظام الاجتماعي هو المسؤول عن استثمار المرأة. إن لا وعي المرأة يرفض هذا الواقع لأنه يبعدها عن طبيعتها الأنثوية ودور الأمومة وحماية الزوج والأولاد. إن الجمعيات النسائية تطالب بتنظيم العدالة الاجتماعية وتحقيقها بين الجنسين مع الأخذ بالإعتبار التمايز البيولوجي والنفسي للمرأة. إن المرأة ترغب في العمل الذي يتلاءم مع سماتها النفسية والبيولوجية، ليس المهم أن تهتم الدراسات والأبحاث بتأثير التغييرات الاجتماعية في الاستجابات النفسية للمرأة، ولكن المهم أن تتلاءم هذه التغييرات الاجتماعية مع الاتجاهات النفسية والبيولوجية للمرأة.

عند طرح موضوع التمايز بين الجنسين على المستوى النفسي والبيولوجي

---

(١) مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر.

في سبيل الاهتمام بموضوع العدالة الاجتماعية، يجدر الاهتمام بالمسائل الجنسية للمرأة وهل أن حرية المرأة الجنسية تساهم في تحقيق العدالة الاجتماعية.

إن الكاتب الكسندر كولنتي «Alexandre Kallanty» في كتابه مسالك الحب «Les vois de l'amour» يحاول أن يعبر بأمانة عن أفكار المرأة الروسية خلال المرحلة الأولى في الثورة. يكشف الكاتب عن الجوانب النفسية للمرأة ويبين تأثير التغييرات الثقافية والاجتماعية المفاجئة في حياة المرأة النفسية.

إن الروايةتدور حول ثلاث نساء آمنَّ بالعمل الثوري وأدركن أن حياتهن في العمل هي تجسيد للمثل الاجتماعية. إن النساء الثلاث ينتسبن إلى أحزاب سياسية مختلفة من ناحية البرنامج ووسائل التطبيق والتنفيذ، إن النساء الثلاث يرغبن في تحرير الشعب الروسي من العبودية والاستغلال، وإنهن على استعداد للتضحية بحياتهن في سبيل العقيدة والمثل العليا التي آمنَّ بها. .

ما يهمنا السمات الأساسية الشخصية الفردية لكل منهن خارج الإطار الاجتماعي.

أثناء الحرب دور المرأة في المجتمع يرتبط ويتأثر بالوسط الاجتماعي الذي تنتمي إليه. المرأة تترك المنزل، تشارك الرجل، تنخرط في النشاطات والأعمال المتعددة. إنها تهتم بآلية الحرب، العمل يزداد، يصبح شاقاً ومتعباً، لكن الرواية تبين خلال التحليل أن النساء يرغبن ولديهن ميل وحنين إلى العودة إلى المنزل للاهتمام بالزوج والأولاد وأن الإندفاع للعمل يكون بتأثير القيم والمثل الاجتماعية أو بسبب العوز الاقتصادي.

إن مظاهر الحيوية والنشاط التي تمارسها المرأة خلال الأزمات الاجتماعية والاقتصادية ليست ناتجة من الطبيعة البيولوجية للمرأة ولكن ذلك مردّه إلى الظروف الاجتماعية. إن الحروب والأزمات الاجتماعية والاقتصادية تدفع المرأة إلى مشاركة الرجل جنباً إلى جنب في العمل، إنها تتساوى بالرجل، مما يشبع عندها الرغبة اللاواعية في أن تكون رجلاً. إن ارتداءها ملابس شبيهة بملابس الرجل يشبع عندها عقدة الاسترجال ويحميها من مشاعر التبعية والضعف مما يمنحها

الشعور بالقوة ويجعلها تطالب بحقوق الرجل وواجباته.

إن التحليل النفسي والاجتماعي أبرز أنه خلال الحروب والأزمات تزداد الميول الأنثوية لدى الرجل، بسبب غياب دوره السلطوي، وتزداد بالمقابل مشاعره العاطفية والوجدانية (حب الوطن، التأثر الوجداني بمآسي الإنسانية، مشاعر الحب والعطف للأسرة)، في حين أن المرأة تزداد ذكورة من خلال تكيفها مع المهن الجديدة التي يمارسها الذكور ومن خلال التغيير في مظهرها الخارجي: الملابس، قصّ الشعر، ممارسة الرياضة، الاهتمام بالمواضيع الفكرية، مبدأ الولد الوحيد. كل ذلك يعتبر من العوامل الأساسية التي تضغط على الجوانب الأنثوية للمرأة.

إن غالبية النساء اللواتي ينتسبن إلى الفئات الشعبية والبورجوازية الصغيرة حلت محل الرجال خلال الحرب في ممارسة الأعمال الصعبة والشاقة: العمل في المصانع وسكك الحديد، أعمال البناء.

إن ممارسة المرأة لهذه الأعمال الخشنة والصعبة لم يخفِ مشاعر الحنان والعاطفة والرغبة في العودة إلى المنزل للاهتمام بالتدبير المنزلي والعناية بالزوج والأولاد وممارسة وظيفتها الطبيعية للأمومة[1].

إن الحياة الاجتماعية تلعب دوراً مهماً على صعيد الحياة النفسية للمرأة. إن المظهر الخارجي للمرأة قد يتغير بتغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية، لكن الطبيعة الداخلية للمرأة فيما يتعلق بوظائف الأنوثة والأمومة تبقى ثابتة.

٢ ـ التفاعل بين الإستعدادات البيولوجية والعوامل الثقافية عند المرأة

إن التفاعل بين النسق النفسي والعامل الفيزيولوجي يبرز عند المرأة خلال مراحل النمو المختلفة، خصوصاً من خلال وظيفة الإنجاب. إن دراسة المظاهر النفسية للأمومة وما تثيره من اضطرابات نفسية وفيزيولوجية لجديرة بالاهتمام. المظاهر النفس ـ فيزيولوجية للمرأة تظهر خلال مراحل: العقم، الإجهاض، حوادث الحمل، الولادة، الرضاعة، التي تؤثر تأثيراً قوياً في الناحية النفسية والفيزيولوجية للمرأة.

(١) فرويد، مقدمة في التحليل النفسي، ترجمة أحمد عزت رمزي، دار المعارف.

إن العوامل الثقافية والاجتماعية تؤثر بدورها في البنيةالنفسية للمرأة.

نظرة عامة إلى تأثير العوامل الاجتماعية والبيولوجية في المرأة.

إن وظيفة الأمومة هي من الوظائف الأساسية للتعبير عن الجانب النفسي لشخصية المرأة.

إن الأمومة لا تتضمن فقط نسقاً بيولوجياً ولكنها تعبّر عن شخصية المرأة وتجاربها على المستويات: النفسية والعاطفية والانفعالية والوجدانية. الأمومة تتضمن الرغبات والذكريات والمعاناة ومشاعر اللذة، والقلق والحياة والموت، ذلك من خلال الحوادث والتجارب التي تتعرض لها المرأة خلال مراحل الحمل والولادة والأمومة.

هنا لا بد من طرح بعض الأسئلة:

هل مراقبة الحوادث والمظاهر النفسية خلال مراحل النمو المختلفة للمرأة تسمح لنا باستخلاص نتائج إيجابية؟

هل إن المظاهر النفسية لوظيفة الإنجاب ترتكز على وقائع بيولوجية أم أنها نتيجة لعوامل إجتماعية؟.

إن الإجابة عن هذه الأسئلة يعتبر من اختصاص علماء البيولوجية والاجتماع والتربية وعلم النفس. علم البيولوجيا يهتم بالحوادث النفسية الملاحظة من قبل علماء النفس في سبيل تحديد تأثير العوامل البيولوجية في المظاهر النفسية.

علماء الاجتماع يهتمون بتأثير العوامل الاجتماعية في السمات النفسية للشخصية، أما عالم النفس فإنه يسعى إلى ملاحظة الوقائع النفسية ووصفها ضمن إطاري الزمان والمكان.

بعض علماء النفس يعتقدون أنه في سبيل فهم أفضل للظواهر النفسية يجدر الاهتمام بالجوانب الثقافية والاجتماعية، ويجهدون في ربط الجوانب النفسية للشخصية بالبنية الاجتماعية[1]. إن مركز المرأة ودورها في التنظيم الاجتماعي

(١) Le fait féminin, OP, Cit - PP. 18 - 19. 23.

للأسرة يؤثران في البنية النفسية للمرأة خلال مرحلتي الإنجاب والأمومة. إن الأمومة حسب علماء الاجتماع هي ظاهرة اجتماعية، من هنا يمكن القول إن المؤسسات الاجتماعية والتربوية تؤثر على الوظائف البيولوجية للمرأة، إن التأثير الاجتماعي على الجوانب النفسية للمرأة خصوصاً خلال مرحلة الأمومة يمكن ملاحظته خلال التغييرات والتحولات الاجتماعية والاقتصادية.

إن النظرة إلى المرأة الحامل ترتبط بالجوانب الأخلاقية والدينية والقوانين الوضعية. بعض المجتمعات تنظر إلى المرأة الحامل كموضوع مقدس مما يجعل المرأة الحامل تشعر بالفخر والاعتزاز والسعادة خلال فترة الحمل.

كذلك فإن الإجهاض يؤثر في النواحي النفسية والفكرية والجسدية للمرأة. بعض المجتمعات تسمح بالإجهاض والبعض الآخر يرفضه. إن قوانين الإجهاض تؤثر بدورها في البنية النفسية للمرأة خلال عملية الإجهاض.

إن عقم المرأة يؤثر بدوره في النواحي النفسية التي تتأثر بدورها بالجانب الاجتماعي ـ الثقافي.

بعض الدراسات الفسيولوجية بينت أن دافع الأمومة يرتبط بالعوامل البيولوجية التي تبرز عند المرأة بعد الولادة نتيجة لإفراز هرمونات معينة مما يدفع المرأة إلى الإهتمام بالمولود الجديد[1]، في حين أن الدراسات الاجتماعية اعتبرت أن القيم والمعايير والقواعد الأخلاقية والمعتقدات الدينية هي التي تدفع الأم إلى الإهتمام بالطفل الرضيع.

إن بعض المجتمعات لا تسمح باستعمال الوسائل الاصطناعية لتغذية الطفل الرضيع، لأنها تعتبر أن وظيفة الثدي هي لتأمين الغذاء للمولود وليس لإبراز مظاهر الجمال والرشاقة. في المجتمعات التي تسمح للمرأة بأن تلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية نجدها تهتم وترتبط بالطفل ارتباطاً قوياً حيث القيم والعادات الاجتماعية تحترم المرأة خلال فترات الحمل والولادة والأمومة.

---

(١) د. فؤاد حيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، مرجع سابق.

الأمومة والجنس عند المرأة

إن كلمة أمومة[1] تدل على العلاقة الوثيقة بين «الأم والولد» كوحدة اجتماعية وفيزيولوجية وانفعالية. إن علاقة الأم بالولد تبدأ خلال مراحل: الحمل، والولادة، وفترة الرضاعة، والعناية بالطفل. هذه المراحل تتمايز باستجابات انفعالية مما يؤثر من خلال التفاعل المتبادل في التكوين النفسي للأم والطفل. إن الانعكاسات العاطفية والاستجابات السلوكية تختلف باختلاف الأفراد والوسط الاجتماعي والثقافي. إن شخصية المرأة كبنية نفسية متكاملة تتأثر بالقدرات والاستعدادات الفيزيولوجية المميزة للمرأة وللوسط الاجتماعي الذي تنتمي إليه.

إن مظاهر الأمومة ترتبط بعاملين أساسيين:

١ ـ شخصية المرأة المتمايزة.

٢ ـ حاجة الطفل إلى العناية والرعاية وما ينتج عنهما من ظواهر إنفعالية. إن المرأة تتميز على المستويين البيولوجي والفيزيولوجي بالطبيعة النرجسية والقابلية المازوشية التي تسمح لها بتحمل الآلام والمعاناة من أجل التضحية والعطاء والحب. إن الرغبة النرجسية عند المرأة ناتجة عن سمات الأنوثة؛ وهذا الميل النرجسي ينتقل خلال فترة الحمل والولادة من الأنا النرجسي إلى الولد أو إلى من يحل محله، وغالباً ما يرتبط حب الأم لولدها بالاعتقاد الراسخ أن ذلك ضروري لنمو الطفل بالشكل الملائم. إن رغبة الأمومة تضعف تدريجياً لتحل محلها

---

(١) حول نظرية فرويد بالنسبة للأمومة راجع.

Freud, ON the Transformation of instinct with Special Reference To Anal Erotism Vol II.

الرغبات الجنسية بقدر ما تشعر الأم بالتحرر من التبعية للولد، مما يقوي عندها من جديد الرغبة النرجسية، وتسعى لإظهار مظاهر الأنوثة التي تلعب دوراً أساسياً في إثارة الدافع الجنسي.

إن ممارسة الفعل الجنسي بين الرجل والمرأة يبدو كأنه يسعى لتحقيق هدفين مترابطين: الإشباع الجنسي والإنجاب. أثناء التهيج والإثارة الجنسية غالباً ما تكون فكرة الإنجاب غائبة عن الشريكين. إن العلاقة بين الإشباع الجنسي والإنجاب تختلف بين الرجل والمرأة؛ فالرجل يعتبر أن الإنجاب يبدو كوظيفة تضاف إلى الإشباع الجنسي. أما بالنسبة إلى المرأة فإن الإفرازات الهرمونية هي في خدمة استمرارية الجنس وتجسيد لدور الأمومة. تكتمل اللذة عند المرأة عندما تعلم أنها حامل. وخلال فترة الحمل، تستقلُّ وظيفة الفعل الجنسي عن مفهوم اللذة الجنسية، ويبدو أنّ هدف المرأة الحامل من الجنس هو تسهيل عملية الولادة.

١ ـ تأثير العلاقات الجنسية في نفسية المرأة

إن الإنسان يتميز من الحيوان بأنه يتمتع بالقدرة على تغيير النسق البيولوجي للفعل الجنسي تحت تأثير التغييرات الثقافية والاقتصادية. إن لا وعي المرأة خلال الاتصال الجنسي يبدو كأنه يربط الجنس بموضوع الإنجاب؛ فالمرأة على الصعيد النفسي تربط الفعل الجنسي بموضوع الولادة؛ وعلى العكس إن موضوع الولادة يرتبط بالفعل الجنسي.

إن العضو الأساسي عند المرأة لتحقيق اللذة هو البظر «Clitoris» لا المهبل «Vagin»؛ ويعتبر المهبل مركزاً مباشراً للتهيج والإثارة الجنسية عند النساء اللواتي لهنَّ تجربة جنسية كاملة، إن اللذة عند الفتاة الأنثى تتركز في البظر، فإنّ اللذة عند المرأة تنتقل من البظر إلى المهبل(١).

إن فعل فض البكارة «defloration» للمرأة يبدو ضرورياً لتحقيق اللذة والانتقال بها من البظر إلى المهبل. إن آلام فض البكارة هي بمثابة التحضير

(١) فرويد، ثلاث مقالات في نظرية الجنسية، مرجع سابق، ص ٩٦ ـ ٩٧.

النفسي للفعل الجنسي الذي يتميز من جهة بالإدخال العنيف لعضو الذكر المنتصب، ومن جهة أخرى بإنّ خضوع المهبل لعضو الذكر يبدو وكأن وظيفته تنحصر في تحقيق لذة الرجل من خلال الإحتواء لعضوه. إن المرأة تهتم بالمهبل كموضوع للإنجاب أكثر من إهتمامها به كمركز للتجربة والإثارة والإشباع الجنسي. خلال الاتصال الجنسي، لا وعي المرأة بقدرتها على الخصوبة والإنجاب هو الذي يحقق لها لذة المهبل؛ إن أهمية لذة الفعل الجنسي عند المرأة يأتي في مرحلة لاحقة بعد تأكدها من فعل الخصوبة وقدرتها على الإنجاب. التحليل النفسي حاول أن يفسر سلبية المرأة تجاه الوظيفة الفيزيولوجية للمهبل كمركز للذة الجنسية. إن الفتاة خلال مرحلة الطفولة التي تمتد بين ٣ و ٥ سنوات تعتقد أنها تفتقر إلى عضو الذكر نتيجة لإثم ارتكبته وأن هذا العضو هو الذي يحقق اللذة. إنها تنظر إلى البظر والمهبل كعضوين غير قادرين على تحقيق اللذة الجنسية. إن وظيفة المهبل هي لتحقيق الإنجاب فقط.

إن المرأة من خلال التجارب التي تمر بها وتحت تأثيرالغدد الصماء تصبح أكثر وعياً لدورها على صعيدي الجنس والإنجاب. إن الوظيفة الجنسية للمرأة لا يمكن تفسيرها فقط من خلال المتغيرات والعوامل البيولوجية، لأن العامل النفسي هنا يلعب دوراً أساسياً في تأمين اللذة الجنسية. إن علم النفس وعلم الجهاز العصبي لا يعلمان إلا القليل عن مفهومي اللذة وهزّه الجماع عند المرأة خلال الفعل الجنسي(١).

من أجل فهم اللذة وهزّة الجماع عند المرأة «L'orgasme de la femme» علينا أن نلفت الإنتباه إلى بعض المواضيع التي تؤثر في الناحية الجنسية للمرأة. إن الهوامات الخيالية اللاواعي عند المرة تجعلها تنظر إلى المهبل كجرح مؤلم في الجسد، إضافة إلى التوتر الممزوج باللذة والألم الناتج عن الإدخال العنيف وتوسيع المهبل بالقضيب. إن التجربة الجنسية للمرأة ذات سِمةً مازوشية (اللذة الممزوجة

(١) حول تقديس إزالة البكارة راجع:
نوال السعداوي: مرجع سابق، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

بالألم)؛ ويرى علم نفس المرأة أن الربط بين اللذة الجنسية والألم هما الأساس في فهم آلية الطبيعة المازوشية للمرأة؛ وهذه المازوشية نلاحظها في الوظائف الفيزيولوجية الأخرى للمرأة: الحمل، الإنجاب، الولادة.

فرويد في كتابه «تحريم البكارة» «Le tabou de la virginité» يحلل المظاهر النفسية والثقافية لفعل فض البكارة «la defloration» وعلاقة فض البكارة بعقدة الخصاء عند الأنثى. «Complexe de Costration». بعض القبائل تمنع الزوج من فض بكارة زوجته ليلة الدخلة حيث يقوم بهذا الدور بعض العجائز المتخصصات، وفي قبائل أخرى يقوم بهذا الدور جماعةلا متخصصة من الرجال غالباً يكونون من الكهنة.

يستنتج فرويد أن موضوع فض البكارة له وظيفة آجتماعية يراد من خلاله ربط الرجل بالمرأة من خلال الشهود الذين يقومون بهذا الفعل. وإن فكرة المحرم لموضوع البكارة وقلق الفتاة بالنسبة إلى هذا الموضوع ناتجان حسب فرويد من المعتقدات البدائية التي تمنع الرجل من فض بكارة الأنثى، وما يرافق ذلك من شعور الشريكين بالذنب وما ينتج عنه من قلق وخوف من المجتمع الذي يرفض فض بكارة الفتاة قبل مراسيم الزواج[١].

أظهر التحليل النفسي أن هناك أزواجاً يعانون الخوف والقلق من موضوع فض البكارة مما يجعلهم يشعرون بالعجز الجنسي أمام هذا العائق الذي يمنع الاتصال الجنسي. بعض الزوجات يلجأن أحياناً إلى الطبيب لفض البكارة؛ والزوج الذي يسمح للطبيب الجراح بفض بكارة زوجته يعلن، لكي يخفي قلقه وفشله وعجزه، أن غشاء بكارة «L'hymen» الزوجة «قاسٍ» لا «يتمزق». هذا الشعور بالعجز يكشف عن العوائق الجنسية التي تواجه الزوج في التغلب على مقاومة غشاء البكارة للزوجة.

إن الزوجة التي تلجأ إلى الطبيب لفض البكارة بطريقة اصطناعية، وذلك

(١) حول بكارة الأنثى راجع:

Freud, The taboo of virginity (1918), Standard Ed. Vol 11 London 1957.

بسبب عجز الزوج من القيام بهذا الدور، تشعر بوعي أو بدون وعي باحتكار الزوج الذي لم تكن له القوة والمقدرة والشجاعة الكافية لاقتحام المحرّم «le tabou».

إن احتكار المرأة للزوج قد يؤثر سلباً في العلاقات الزوجية والعاطفية، بحيث أن المرأة ترغب في أن تغتصب من قبل الزوج. إن الفعل الجنسي الذي يتّخذ مظهر الاغتصاب يمنح الزوج القوة المعنوية التي تحميه من الميول العدوانية للزوجة. إن الاغتصاب الجنسي للمرأة من قبل الرجل يجعل الزوجة تخضع لسلطة الرجل. إن الرجل الذي لا يستطيع أن يمارس الجنس بأسلوب قوي وحيوي ونشيط يجعل المرأة تخضع وتستسلم له، فإنه غالباً ما يظهر بمظهر الضعيف أمام الزوجة. مما يزيد في الطبيعة العدوانية للزوجة تجاه الزوج.

سوف نحاول أن نكشف عن النسق الفيزيولوجي ونمط الاستجابات الانفعالية المرتبطة بفعل الممارسة الجنسية والاغتصاب الجنسي. إن مهبل المرأة يتميز عادة بالقدرة على التقلصات المتعددة من نمط الانقباض والارتخاء؛ هذه الانقباضات والتقلصات ترتبط بالوقع المتناغم والمنسجم لحركات الرجل. التناغم والتناسق بين تقلصات المهبل وهزات الرجل هي دليل على التكيّف الجنسي الذي يعتبر من العناصر الأساسية لتحقيق اللذة عند المرأة.

إن هزة الجماع عند المرأة «L'orgasme» ترتبط ارتباطاً وثيقاً بناحيتها النفسية. أحياناً الظواهر النفسية لا يمكن تفسيرها إلا من خلال إلقاء الضوء على الناحية البيولوجية وخصوصاً الظواهر الفيزيو ـ كيميائية. إن المرأة تواجه صعوبات لتحقيق لذة هزّة الجماع. من هذه الصعوبات أن وظيفة المهبل تبدو لوعي المرأة مرتبطة بوظيفة الإنجاب. على المرأة أن تتجاوز هذا العائق وتنظر إلى المهبل كمركز للمتعة والإثارة الجنسية. الصعوبة الثانية ترتبط بالطبيعة المازوشية للمرأة، بمعنى أن أحاسيسها الجنسية ترتبط بمشاعر المعاناة والألم؛ يضاف إلى هذه الصعوبات والعوائق النفسية لبلوغ اللذة الجنسية، الصعوبات الناتجة عن حالات مرضية[1].

(١) Oh. Gellman: «Dimorphisme Sexuel dans l'érotisme» OP. Cit.

إن الدوافع التي تدفع الرجل والمرأة إلى ممارسة العل الجنسي تختلف من حيث الهدف والغاية لكل من الشريكين. إن غاية الرجل من الفعل الجنسي إشباع اللذة الجنسية التي تتحقق من خلال القذف «Ejaculation». أما غاية الدافع الجنسي للمرأة فإنه يختلف عن طبيعة الدافع الجنسي للرجل؛ إن غاية الفعل الجنسي للمرأة لا يسعى للتخلص من الإفرازات المنوية، لأن وظيفة الإفرازات المنوية للمرأة خلال الاتصال الجنسي تنحصر في تشحيم المهبل «Lubrifier» من أجل إدخال القضيب بدون ألم. إن غاية الفعل الجنسي عند الرجل هو الوصول إلى القذف بما يؤمن الشعور باللذة الجنسية، أما بالنسبة إلى المرأة فإن النسق النفسي يرتبط بالنسق البيولوجي. إن المرأة التي تعاني؛ الحرمان الجنسي، تعاني التوتر على المستوى النفسي؛ إن الحصر النفسي لدى المرأة لا يمكن ردّه إلى الفشل في تحقيق اللذة الجنسية على المستويين العضوي والبيولوجي وإنّمايُردُّ إلى الحالات النفسية التي تعانيها المرأة ومن أهمها حاجتها النرجسية إلى أن تكون موضوعاً للحب والإثارة والإعجاب. إن الزوج الذي يعاني العجز الجنسي يجعل زوجته تعاني التوتر النفسي الذي ينعكس بدوره على التوتر البيولوجي.

٢ - دور الرجل في تحقيق اللذة الجنسية للمرأة:

إن غزل الرجل بالمرأة خلال الاتصال الجنسي يبدو ضرورياً لإثارة المرأة مما يجعلها تشعر بالنرجسية التي تثير بدورها الرغبة في اللذة. إن مقاومة المرأة للرجل في بداية مرحلة الاتصال والنشاط الجنسي التي تأخذ أحياناً مظهر التوتر والامتناع تؤدي إلى تقلص المهبل مما يدفع الرجل إلى التصرف بعدوانية ينتج عنها زيادة الإثارة والانتصاب التي تعتبر من المظاهر الأساسية لنجاح الفعل الجنسي.

إن تقلص المهبل يجعل بعض الرجال، وخصوصاً الذين يفتقرون إلى الخبرة الجنسية، يعتقدون أن المهبل ضيق وليس بمقدوره احتواء القضيب؛ هذا الشعور قد يدفع الزوج إلى اللجوء إلى الطبيب الجراح لحل المشكلة؛ وتستطيع المرأة أن تتغلب على هذه المشكلة في خلال التجاوب مع عدوانية الرجل إن المرأة بما تتمتع به من طبيعة مازوشية تستطيع أن تتحمل الألم والمعاناة في سبيل تحقيق اللذة المنتظرة، حيث يتسع المهبل ويتمدد ويصبح قادراً على استقبال

القضيب واحتوائه. إن تحقيق التكيف الجنسي يستدل عليه بالحركات الدينامية المتناغمة خلال ممارسة الفعل الجنسي.

إن لذة هزّة الجماع للمرأة لها وظيفة بيولوجية محددة، ولكن اللذة الكبرى تكمن في تحقيق الخصوبة التي تنتهي بفعل الولادة. خلال ممارسة الفعل الجنسي، يستثمر عامل الأمومة في تعميق العلاقة الحميمة بين الشريكين. إن وجود قضيب الرجل داخل جسم المرأة، يرمز إلى الولد. نجد صورة جملة عن هذا التحليل في الطقوس الدينية الهندوسية؛ وحسب الأسطورة، فإن الرجل يدخل إلى جسم المرأة من خلال الجماع، ثم يولد من جديد بشكل طفل، مما يؤدي إلى الخلود. وتعبِّر الكاتبة الفرنسية كوليت عن ذلك أيضاً بقولها: «إنك تعطيني الحب، عيوني يغمرها قلق الأمومة، عندما أكون بين ذراعيك، أشعر أنه لا ينقصنا إلا الطفل الناتج عن ثمرة حبنا».

كثيرات هنَّ النساء اللواتي يعانين من صعوبات تذوق لذة الفعل الجنسي بسبب الهوامات الخيالية الواعية أو اللاواعية لموضوع الولادة. إن خوف المرأة وقلقها من الحمل غير المرغوب فيه يمارسان عليها تأثيراً واضحاً في إعاقة بلوغ اللذة الجنسية.

سوف نعرض حالة امرأة متزوجة لها من العمر حوالي تسعة وعشرين عاماً أنجبت ستة أولاد، غالباً ما ينتابها حالات من خفقان القلب غير المنتظم وصعوبة في التنفس، إضافة إلى حالات عصبية ونوبات من الغضب على الزوج والأولاد.

التحليل النفسي كشف أن المرأة كانت تعاني الخوف والقلق من الحمل، وهذه الهوامات الخيالية اللاواعية كانت لا تفارقها ليلاً ونهاراً، مما جعلها تتعذّب وتقاسي خلال الفعل الجنسي. كانت المرأة تعاني من الهوامات الخيالية اللاواعية والقلق من الحمل مما دفعها إلى إكراه الزوج على استعمال وسائل منع الحمل «العوازل» التي كانت هي نفسها ترفض استعمالها. وخلال جلسات التحليل النفسي، أعلنت المرأة أنها خلال مرحلة المراهقة كانت تعاني الخوف والقلق من موضوع الحمل. ومما زاد من حالات التوتر والعصاب لديها أنها حملت مباشرة بعد الزواج. إن قلق المرأة من موضوعي الحمل والولادات المتكررة بعد الزواج أورثها شعوراً بالبؤس والألم؛ كانت المرأة تعاني دوام انقطاع الحيض لأنه يرمز إلى

الحمل، لذلك كانت تتناول باستمرار حبوباً لتأمين دوام الحيض. غالباً ما كانت تتخيل نفسها في غرفة الولادة، مثبتة الأرجل وموثقة اليدين؛ فكانت ترهق نفسها بالأعمال المنزلية لتعلّل تمنّعها ممارسة الجنس مع الزوج.

التحليل النفسي اكتشف أن السبب الأساسي في معاناة المرأة مردّه إلى الولادات المتتالية التي حصلت حسب رأيها رغم إرادتها لذلك فإنها غالباً ما كانت تقوم خلال الحمل بالأعمال الشاقة والصعبة لإجهاض الجنين؛ وكان ينتابها شعور بكراهية الزوج لأنه حسب اعتقادها سبب آلامها ومعاناتها.

إن المرأة المذكورة لم تعتن بأولادها العناية الكافية، وكانت ترفض إرضاع الطفل بعد الولادة، ولم تكن تشعر بعاطفة الأمومة تجاه المولود الجديد؛ وإذا مرض أحد الأولاد فإنها لم تكن توليه الاهتمام الكافي؛ وإذا استيقظ أحد الأولاد ليلاً طالباً حاجة ما، فإن الزوج هو الذي كان يهتم بالأمر، وإذا رغب ولد من الأولاد بحاجة ما فإنه كان يطلبها من الأب؛ إن الزوج خلال حياته الزوجية كان يمارس غالبية الأعمال المنزلية بنفسه؛ إن الأم خلال وجودها في المستشفى بسبب الولادة، فإنها لم تكن تعاني القلق على باقي الأولاد؛ وإذا مرض أحد الأولاد فإنها كانت تبالغ في التعبير عن الآلام والمعاناة التي تكبتها في سبيل تربية أولادها، كما كانت تبالغ في التعبير عن المعاناة والصعوبات التي واجهتها أثناء فترة الحمل والولادة. إن السيدة المذكورة عندما كانت تتكلم عن عملية الزائدة الدودية التي أجريت لابنتها، كانت تضع يديها على بطنها وتضغط بألم وتتصرف كما لو أنها هي التي أجريت لها هذه العملية الجراحية؛ وعندما أخبرت أن ابنتها البكر ظهر عندها الحيض للمرة الأولى، كانت تتصرف كما لو أنها هي التي تعاني آلام الحيض.

في سبيل فهم حالة السيدة المذكورة، فإن التحليل النفسي حاول الكشف عن المراحل المتتالية لنموّ المرأة: الوضع الأسروي للمرأة قبل الزواج، يظهر أن الأب تزوج الأم طمعاً في الثروة، حياة الأهل كانت مليئة بالمشاكسة والمشاجرة وعدم التفاهم، السيدة موضوع التحليل النفسي كانت الفتاة البكر بين خمسة أولاد، بنتان وثلاثة صبيان، إن الأب كان بالسيرة الحسنة، كان يعمل مندوباً لعدة شركات، مما دفعه إلى السفر باستمرار؛ أثناء سفره كانت زوجته تخونه؛ عندما

كانت السيدة موضوع التحليل النفسي لها من العمر ست سنوات، كانت أمها عشيقة لشاب أصغر منها بعدة سنوات؛ ولادة أخ للسيدة المذكورة موضوع التحليل، جعلتها تعتقد أنه ابن العشيق؛ عندما بلغت المرأة موضوع التحليل من العمر ستة عشر عاماً، اندهشت لأنّ أمها لم تسمح إلا للشاب العشيق بحضور الولادة، مما رسخ اعتقادها بأنّ المولود الجديد هو ابن العشيق.

كان الشاب العشيق يتردد غالباً على المنزل أثناء غياب الزوج، وكان يأمر الأولاد بالقيام بأعمال معينة؛ فكان الأولاد يعانون من ضغط الأم وتسلط العشيق عليهم، يضاف إلى ذلك الإهمال في التربية والتنشئة وعدم الخروج للتنزه وزيارة الأصدقاء والجيران والأقارب.

هذا الوضع جعل المرأة موضوع التحليل تكره أمها، بسبب الخيانة الزوجية، وكانت تكره إخوتها الأصغر منها لاعتقادها أنهم أولاد الشاب العشيق.

خلال مرحلة الطفولة، المرأة موضوع التحليل، لم تلعب بالألعاب المخصصة بالأطفال؛ كانت ترغب في لعب دور الهنود وراعي البقر؛ في المدرسة كانت الفتاة المذكورة هي المسؤولة عن الفريق الرياضي لكرة اليد؛ وعندما بلغت من العمر سبعة عشر عاماً اضطرت إلى ترك المدرسة بسبب انقطاع الأب عن العمل والتفتيش عن عمل لمساعدة الأسرة اقتصادياً؛ كانت تعمل بكل طاقتها. الظروف الصعبة دفعتها إلى الزواج من أول شاب صادفته؛ والحمل والولادات المتتالية أجبرتها على ترك العمل؛ والعوز الاقتصادي دفعها إلى العمل نهاراً في الخياطة وليلاً في صيدلية، ثم عملت في مصنع، كانت المسؤولة عن نقابة العمال في المصنع، كانت تميل إلى الكفاح ضد أرباب العمل.

في المستشفى، خلال الولادة، كانت تعاني من العصاب والتوتر، تسير ذهاباً وإياباً في الممر، حركات اليدين توحي بالقلق، كانت تعاني أزمات حادة عندما يقع بصرها على أي شيء يرتبط بموضوع الحمل، كانت ترغب في الموت خلال فترة الحمل، كانت ترغب بالإجهاض.

التحليل النفسي أظهر أن السيدة المذكورة كانت تعاني حالة هستيرية، يستدل

عليها من خلال هواماتها الخيالية؛ أن قلبها يتحرك وينتقل من مكانه، كانت تشعر أن خفقات القلب غير منتظمة، كانت تعاني اضطرابات معوية ودُوار.

التحليل النفسي أظهر أن خوف المرأة من الحمل وخفقات القلب غير المنتظمة ناتجان عن موضوع التماهي، التماهي مع الجدّة «من ناحية الأم» التي توفيت نتيجة لمرضٍ بالقلب، والتماهي مع الأم كان يثير فيها خوفاً وقلقاً من الحمل والولادة؛ هذه الحالات من المعاناة دفعتها إلى أن تتصرّف بشكل مغاير لسلوك الأم؛ ولكن بسبب التماهي مع الأم، كانت ترغب في ظلم الزوج، لم تكن ترغب في االأولاد لأنها كانت تكره أولاد أمها الأصغر منها سناً لأنها كانت تعتبرهم ثمرة الخيانة؛ هذه العوامل كانت السبب الرئيسي في معاناة السيدة موضوع التحليل النفسي.

إن الفحص العميق والتشخيص الدقيق كشفا أن السيدة المذكورة لم تكن تعاني المرض الهستيري، وكانت تصف حالتها بقولها: «إنني أشعر أن جزءاً مني يذهب في هذا الاتجاه والجزء الثاني يذهب في الاتجاه الآخر».

التحليل كشف أن السيدة كانت تعاني الازدواجية في تصرفاتها وسلوكها؛ إنها لا تعلم إذا كانت تحب زوجها أم تكرهه؛ أحياناً كانت تعبر عن حبها لأولادها حتى العبادة، وأحياناً أخرى كانت تهملهم ولا تهتم بهم. كانت مهووسة بالتخطيط للمستقبل، إن رغبتها بالإجهاض خلال الحمل الأول كانت تبرره بقولها إنها لم تخطط لهذا الحمل.

إن فهم الحالة الطفولية للمرأة المذكورة يدلنا على حالتها المرضية: إن حمل الأم من العشيق جعلها تشعر بالكراهية تجاه أمها. الميول العدوانية تجاه الشاب العشيق كانت تترافق مع هوامات خيالية أنها تتعرض للضرب من عشيق الأم؛ هذه الهوامات الخيالية اللاواعية كونت عندها خوفاً وقلقاً من موضوع الحمل؛ السيدة المذكورة كانت تحاول تخفيف حِدّة ما تعانيه من الصراع النفسي باللجوء إلى العمل المرهق...

ما يهمنا من حالة السيدة موضوع التحليل النفسي هو ما يتعلق بمواضيع الجماع، الولادة، الحمل.

إن تماهي السيدة مع الأم جعلها تنظر إلى مواضيع المضاجعة، والخصوبة، والولادة، نظرة اشمئزاز وقلق؛ هذا الشعور ناتج عن تخيلاتها بوجود أخوة غير شرعيين.

إن الظواهر النفسية للسيدة موضوع التحليل النفسي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعوامل البيولوجية، حيث أن التجربة الجنسية تكون في خدمة استمرارية الجنس؛ إن الهوامات الخيالية اللاواعية جعلتها تفقد دور الوظيفة الفيزيولوجية للمهبل على صعيدي المضاجعة، والولادة. إن النظريات في مواضيع الحب، والخطوبة والولادة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الطفولية المعيشية.

الظروف النفسية للمرأة وتأثيرها في الحمل

إن المرأة خلال فترة الحمل تتأثر إلى حدّ كبير بالعوامل الثقافية والاجتماعية للوسط الذي تنتمي إليه. إن إدراك المرأة لموضوع الحمل يرتبط بالقيم والمعايير والمعتقدات الدينية والأخلاقية والنظم الاقتصادية التي ينتهجها المجتمع بالنسبة إلى الأولاد، إن النظرة إلى المرأة الحامل ونوعية المولود تختلف باختلاف الزمان والمكان. إن القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية تؤثر في المركز والدور الذي تقوم به المرأة أثناء فترة الحمل وخلال مرحلة الأمومة. إن حالة المرأة النفسية خلال فترة الحمل والأمومة تتأثر إلى حدٍّ كبير بالتأثيرات الثقافية والاجتماعية. إن انتظار المولود الجديد وما يرتبط به من قيم وعادات، يؤثر في الناحية العاطفية والوجدانية للمرأة. إن الظروف الاقتصادية للأسرة، أو حالة المرض لأحد أفرادها، أو حالة الموت لإنسان عزيز يؤثر في الناحية النفسية والانفعالية للمرأة الحامل. باختصار يمكننا القول إن العوامل الناتجة عن الوسط الاجتماعي تؤثر تأثيراً قوياً في الحالة النفسية للمرأة أثناء فترة الحمل، إن الصحة النفسية للمرأة الحامل تؤثر في صحتها الجسدية وفي نمو الجنين والعكس صحيح.

١ ـ تأثير الحمل في نفسية المرأة

إن موضوع الحمل يثير اهتمام البيولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع، عالم البيولوجيا يدرس التغييرات الفسيولوجية التي تطرأ على وظائف الأعضاء خلال فترة الحمل، في حين أن علم النفس يهتم بالعوامل النفسية التي تؤثر في نفسية المرأة

خلال الحمل، أما علم الاجتماع فيتناول الظواهر الاجتماعية التي ترتبط بموضوعي الحمل والولادة.

سوف نحاول أن نكشف عن الجوانب النفسية وما يرافقها من تغييرات بيولوجية خلال فترة الحمل عند المرأة.

إن الحمل كما هو معلوم يؤدي إلى تغييرات مهمة على صعيد عضوية المرأة.

إن البويضة الملقحة تستقر داخل سائل الرحم «Le muqueuse utérine». بعد الحمل الرحم «L'utérus» يكبر حجمه، وتتسع الأوعية الدموية؛ حين يتكيف الرحم تدريجياً لحماية الجنين، تهدف التطورات والتغييرات الفيزيولوجية للمرأة إلى حماية الجنين؛ التغييرات الفيزيولوجية تؤثر في الناحية النفسية للمرأة الحامل، كذلك فإن الصراع العاطفي للمرأة الحامل يؤثر بدوره في النواحي العضوية والفيزيولوجية. ما تجدر الإشارة إليه أن البنية النفسية للشخصية هي على علاقة وثيقة بالتركيب الجدي والبيولوجي، سوف نحاول أن نكشف عن التفاعل بين الحالات النفسية والتغييرات البيولوجية خلال فترة الحمل للمرأة.

إن المرأة الحالم تتأثر بالحالة العاطفية والوجدانية وآليات الصراع الناتجة عن حالتها النفسية، وما يرافق ذلك من مظاهر عضوية وفيزيولوجية والعكس بالعكس.

إن الغثيان «La nausée» لدى المرأة الحامل يمكن ردّه إلى التغييرات العضوية وما يرافق ذلك من مظاهر القرف والاشتمئزاز النفسي. إن مشاعر الخوف والقلق ترتبط إلى حدّ كبير بالأفكار والتصورات الخيالية اللاواعية للمرأة الحامل عن موضوعي الحمل والولادة، مما يؤدي إلى الشعور بالدوخة والرغبة في التقيؤ «Vomissement». إن المظاهر النفسية للمرأة الحامل هي نتيجة التغييرات العضوية لأنه لا يمكن فصل العضوية عن محتواها النفسي.

إن الهوامات الخيالية بالنسبة إلى موضوع الحمل ترافق الأنثى خلال

المراحل المختلفة لنموها النفسي والبيولوجي، وهذه التصورات تتغير مع تطورها النفسي والجسدي.

إن التغييرات الفسيولوجية وما يرافقها من حالات نفسية تؤدي دوراً أساسياً في حالة المرأة النفسية خلال مرحلة الحمل.

أثناء فترة الحمل الهوامات الخيالية اللاواعية التي ترتبط بموضوعي المص الفمي والامتصاص المهبلي تجعل المرأة تسعى جاهدة بدون وعي إلى طرد هذه التصورات الخيالية من خلال التقيؤ والاستفراغ، مما يؤدي إلى حالة من الغثيان والدُّوار والاشمئزاز.

إن مظاهر الحمل خلال الأشهر الأولى وما يرافقها من حالات فقدان الشهية، والآلام المعوية، وحريق في المعدة، والغثيان، والقرف والاشمئزاز من رائحة بعض أنواع الطعام، والرغبات الجامحة في بعض المأكولات الغريبة؛ هذه المظاهر تعبر عن الآليات النفسية اللاواعية والصراع بين الخوف اللاواعي من فقدان الجنين وبين الرغبة الواعية في حمايته وحفظه. إن المرأة تشعر بالرضى والانتصار بعد التقيؤ والاستفراغ لأنها انتصرت في حفظ الجنين وحمايته داخل الرحم. الهوامات الخيالية اللاواعية تدفع المرأة أحياناً إلى التفتيش بخوف وقلق عن بقايا الجنين في الأطعمة المطرودة بالتقيؤ والاستفراغ، وهذا الشعور ناتج عن الحالات النفسية وما يرافقها من توترات وصراع داخلي. عندما تهدأ المرأة الحامل وتستقر وتعود إلى حالتها الطبيعية فإنها تسخر وتهزأ من تصرفاتها وتلوم نفسها على ما قامت به من حركات.

علم النفس التحليلي والفلكلوري يفسر رغبة المرأة الحامل في بعض أنواع الطعام الغريبة التي ترمز في الغالب إلى الأعضاء الجنسية والخصوبة والعلاقات الجنسية مثل: الإثمار، والخيار، والفجل، والأفاوية والفلفل...

إن الإفرازات المعوية عند المرأة الحامل هي السبب في بروز هذه الدوافع نحو الأطعمة. إن الحمل يعطي المرأة شعوراً بالحرية، وأن ترغب بما تشتهيه من الأطعمة. إن الإفرازات المعوية تؤثر في الحالة النفسية والعصبية للمرأة. إن المرأة

الحامل تعاني من الصراع النفسي بين ميولها السابقة لفترة الحمل، وبين حالتها النفسية الحاضرة والتي تتضمن ميولاً تعارض الميول السابقة.

إن التقيؤ والوحام «Constepation» هي تعبيرات عن طبيعة هذا الصراع. إن استمرارية الحالات النفسية الحادّة للمرأة خلال فترة الحمل قد تؤدي أحياناً إلى الإجهاض.

٢ ـ تأثير الظروف السيئة للحمل على نفسية المرأة ونمو الجنين

إن وعي المرأة لموضوع الحمل يؤثر في نفسيتها وجسدها. على المرأة الحامل أن تتقبل المحتوى النفسي والبيولوجي للحمل، لأن رفض مظاهر الحمل قد يؤدي إلى حالة من النكوص وعدم الاستقرار النفسي، وحالات مرضية على المستوى البيولوجي قد تنعكس سلباً على موضوعي الحمل والولادة.

إن المرأة الحامل والجنين يكونان وحدة متكاملة على المستويين البيولوجي والنفسي، إن الاضطراب النفسي أو الجسدي للأم يؤدي إلى إزعاج الجنين. إن الصحة النفسية والجسدية الجيدة للأم؛ تؤدي إلى نتائج حسنة على صعيدي الصحة النفسية والجسدية للجنين، والعكس بالعكس؛ أحياناً موت الجنين يؤدي إلى موت الأم والعكس صحيح.

على صعيد المستويين البيولوجي والفيزيولوجي التماهي بين الأم والطفل يلعب دوراً كبيراً في الحياة النفسية للمرأة الحامل. إن التماهي البيولوجي للجنين كموضوع يعيش طفيلياً على حساب جسم الأم. يجعل الأم تعاني اضطرابات نفسية تنعكس سلباً على صحتها الجسدية مما يجعل المرأة تشعر أنها تعاني الضعف الجسدي وسوء التغذية وذلك بسبب تصورها أن الجنين يمتصّ عصارة الغذاء من جسدها. إن المرأة التي تعاني صعوبات في تقبل الجنين داخل جسدها، يجعلها تعاني صعوبات نفسية وجسدية تنعكس بدورها سلباً على وضعية الجنبن النفسية والبيولوجية. إن الإرهاق النفسي والبيولوجي للمرأة خلال فترة الحمل يجعلها تتقبل لاحقاً صعوبات دور الأمومة.

إن المرأة الحامل التي تعاني اضطرابات عاطفية ووجدانية خلال فترة الحمل

قد تثير لديها هوامات خيـالية لا واعيـة بالتخلص من الجنين؛ وقـد يرافق هـذه التصورات ميول ودافع عدوانية ناتجة عن الشعور بالاشمئزاز والقرف من موضوع الحمل مما يؤدي في حال استمرارية هذه الهوامات الخيالية إلى نتائج خطيرة لا بالنسبة إلى الجنين ولكن أيضاً بالنسبة إلى الأم.

إن العوارض الفيزيولوجية التي تواجهها الأم خلال فترة الحمل تؤثر تأثيراً قوياً في علاقة الأم بالجين، مما يقوي عندها الاستعدادات الإيجابية للعطاء والتضحية.

إن الحمل غير المرغوب فيه بالنسبة للمرأة قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية، وجسدية ويـرافق ذلك حـالات من التقيؤ الدائم «Constipation» ومن الشعـور بالقلق والخوف، مما يجعل المرأة تعاني من جهة هوامـات خياليـة لا واعية أن الجنين سوف يولد ناقصاً وغير كامل، ومن جهة أخرى فإن الهوامات الخيالية التي تعانيها تجعلها تشعر أنها تعاني مرضاً خطيراً مما يؤثر في صحتهـا وتقع فـريسة التصورات والهوامات الخيالية[1].

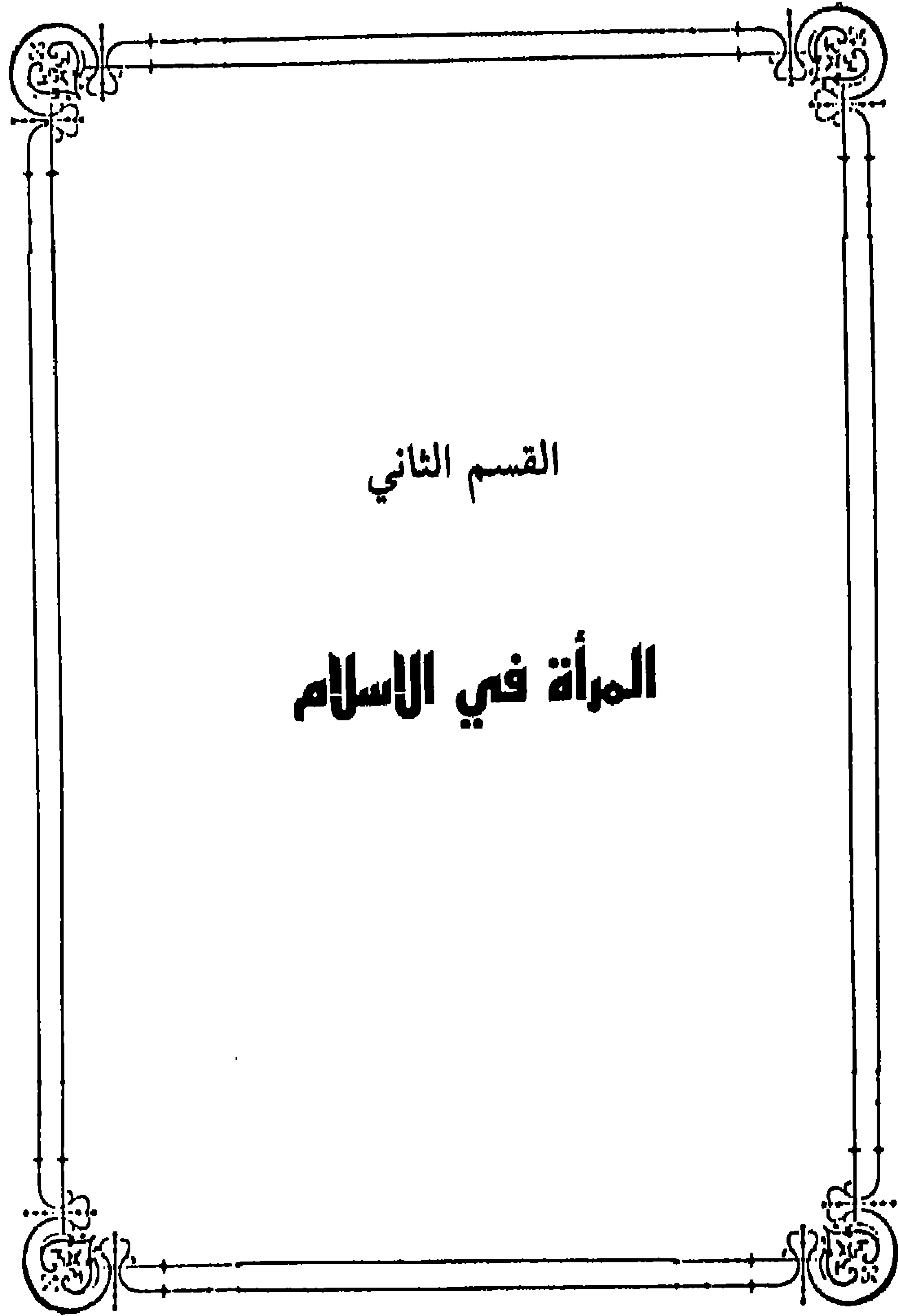
سوف نعرض التأثيرات النفسية للحمل في حالة امرأة، شابة جميلة وجذابة، كانت خلال مرحلة الطفولة هادئة، سعيدة، تزوجت وأنجبت ولدين. عندما كانت حاملاً في شهرها الثالث، أخبرت أنّ زوجها ذهب للتطوع في الخدمة العسكرية. ذهبت المرأة للسكن عند أمها مع أولادها، لقد شعرت للمرة الأولى في حياتها بالضجر والمعاناة من موضوع الحمـل؛ كانت تعـاني تقلصات في بيت الـرحم «Contraction Utirines» كانت مهدّدة بالإجهاض إذا آستمرت هذه العوارض؛ نصحها الطبيب بالتزام الراحة التامة والنوم في السرير. عندما كانت المرأة تستحم كانت تعاني آلام حادة وتعباً شديداً. خلال هذه الفترة وجود المرأة الحامل مع أمها وفـرّ لهـا الاطمئنـان النفسي، ممـا خفف من التقلصـات والتشنجـات وحـالات الانقباض والإمساك الشديد.

إن انفصال المرأة الحامل عن الـزوج جعلها تقـع فريسـة لأنواع الصـراع المتعددة. الحمل أتاح لها التعبير عن المشاكل النفسية التي تعاني منها. لقد تولد

(١) M. Robert, la révolution psychanalytique, P. 45, 49.

عندها شعور بالاشمئزاز من الزوج الذي تخلى عنها؛ كانت لا ترغب في هذا الحمل، لأن الجنين الذي سوف تضعه سيكون بدون أب، مما جعلها تصب غضبها على الزوج وعلى حملها. من المحتمل أن المخاوف التي كانت تعاني منها كانت ناتجة عن الحالات الوجدانية والانفعالية التي كانت تشعر بها من خلال تحملها المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها. كانت تنتابها هوامات خيالية لا واعية بالنسبة إلى جهازها التناسلي؛ إن هواماتها الخيالية كانت تتمحور حول التخلص من الجنين. إن انفصال وبعد المرأة الحامل عن الزوج، أعاد إليها الارتباط العاطفي القديم بالأم.

إن الحالات النفسية والفيزيولوجية للمرأة الحامل تخضع لتنظيم ذاتي؛ إذا كانت علاقة الأم بالجنين والزوج إيجابية فإن ذلك ينعكس على الحياة الجسدية والعاطفية والانفعالية للأم ويجعلها تشعر بالقدرة والرغبة بالحب والحنان والتضحية.



القسم الثاني

المرأة في الاسلام

المرأة في المجتمعات البدائية والديانات القديمة والجاهلية

١ ـ المرأة في المجتمعات البدائية والديانات القديمة

إن معظم علماء التاريخ والأنتروبولوجيا يجمعون على أنه في المجتمعات الإنسانية البدائية كانت للأنثى قيمة إنسانية واجتماعية وفلسفية أكثر من الذكر. وأن الإله القديم كان أنثى وأنه قبل نشوء الأسرة الأبوية كان المجتمع البدائي أمومياً وكانت الأم هي الأصل وهي العصب وهي التي ينسب إليها أطفالها.

في مصر القديمة حيث قامت أقدم حضارات البشرية وأعرقها قامت منذ البداية على المساواة بين الجنسين وعلى ارتفاع مكانة المرأة الاجتماعية، بل كانت المرأة تصل إلى مرتبة الإله. إن تاريخ مصر القديم حافل بالآلهات اللاتي كان يقدم إليهن القرابين وتقام لأعيادهن حفلات رائعة.

أما بالنسبة إلى المرأة من عامة الشعب فقد كانت المرأة الفرعونية تعمل في المصانع بالغزل والنسيج وصنع السجاجيد وتعمل بالتجارة في الأسواق وتشارك زوجها أعمال العيد. ومارست المرأة المصرية قديماً الرياضة والسباحة والأعمال البهلوانية كالرجل، وكان للمرأة نصيب كبير في تولي العرش إذا مات الملك عن ذرية أكبرها بنت.

ويعتقد بعض علماء الآثار المصرية (أرمان) و (موريه) و (برستد) أن الإبن الشرعي كان ينسب إلى أمه أكثر مما ينسب إلى أبيه. وهذا يدل على سيادة الأمومة على الأبوة في نسب الأبناء؛ وكان للمرأة حق الملكية وحق البيع والشراء وأداء الشهادة في المحاكم؛ وكانت تتساوى مع الرجل في الميراث. ومارست المرأة كل

الأعمال فكانت محامية وحاكمة وملكة وكاهنة وإلهة.

الآلهة (ماعت) كانت ربة الحقيقة، و(نايت) إلهة الحرب. وكانت الإلهة (نايت) تتقدم الملك في المعارك الحربية وتضع على رأسها تاج الوجه المصري. ومن الملكات المصريات القديمات الشهيرات: حتب، وخنت، وكاوس، وكليوباترة، ونفرتيتي، والملكة المصرية حتشبسوت، التي ظهرت تماثيلها على شكل أبي الهول لها رأس إنسان وجسد أسد رمزاً للعقل والقوة معاً.

وكان عصر حاتشبسوت يتميز بالازدهار والتعمير؛ لكنها بعد أن ماتت خلفها تحتمس الثالث، أمر بتدمير تماثيلها وتشويه رسومها. ويمثل تحتمس هنا بوضوح انتقام الرجل من المرأة بسبب تفوقها وذكائها وقوتها[١].

أما الديانة اليهودية فقد قامت على القيم الإقطاعية القائمة على ملكية الأرض والعبيد والأطفال والنساء. إن هذا الدين يقوم على سيادة جنس الذكر على جنس النساء وأن عقل الرجال جزء من الذات الإلهية؛ أما المرأة فهي من سلالة الحيوانات والشياطين.

إن الرجل اليهودي يقول كل صباح حين يصلي: «أحمدك يا رب.. لأنك لم تخلقني امرأة» بينما تصلي المرأة اليهودية كل صباح وتقول: «أحمدك يا رب... لأنك خلقتني وفي مشيئتك وإرادتك»[٢].

الشريعة اليهودية تجرد المرأة من جميع حقوقها في مختلف مراحل حياتها، وتجعلها تحت وصية أبيها وأهلها قبل زواجها؛ وتبيح الديانة اليهودية للأب الفقير أن يبيع ابنته لقاء ثمن من المال[٣]. وإذا مات شخص دون أن ينجب ذكوراً تصبح أرملته ـ وتسمى عند اليهود (ياباماه) ـ زوجة لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه سواء رضيت بذلك أم كرهت.

أما الشريعة الهندية البرهمية فتنص على أن المرأة تظل طول حياتها تحت

---

(١) انظر: وليم نظيره «المرأة في تاريخ مصر القديم» دار القلم، القاهرة، ص ٢٠ ـ ٦٨.
(٢) انظر، سيمون دي بوفوار، الجنس الثاني، ص ٢١.
(٣) انظر: سفر الخروج فقرات ٧ ـ ١٢.

سيطرة الرجل: ففي مرحلة طفولتها تتبع والدها، وفي مرحلة شبابها تتبع زوجها، فإذا مات الزوج تنتقل الوصاية عليها إلى أبنائها الذكور، فإذا لم يكن له أبناء انتقلت الوصاية إلى عمومتها أو الأقرباء(١).

كذلك إذا استولى رجل على امرأة بالقوة وسباها من منزل أهلها وهي تبكي وتصرخ في طلب النجدة، وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم أو جرحهم فإن طريقته هذه تسمى طريقة الجبابرة، أو العمالقة.

أما في القانون الروماني فإن المرأة كانت تعاني من الاضطهاد حيث يحق للأب بيعها وله حق قتلها أيضاً. وبعد الزواج يحل الزوج محل الأب في السيطرة عليها وامتلاكها(٢).

أما في الديانة المسيحية فإن الكنيسة هي السلطة الحاكمة، وكانت المرأة تحرق وتعذّب باسم الدين وباسم المحافظة على القيم والأفكار السائدة. وكان الناس يتجمعون عند باب الكنيسة ليحظوا ببضع قطرات من الماء المقدس(٣) أملاً في الشفاء من المرض أو الوقاية منه.

أما إذا ظهرت امرأة قوية وحكيمة فكانوا يسمونها «الساحرة الشريرة» ويحكمون عليها بالتعذيب والموت.

وتكتب ميشيليه قائلة: «كانت الكنيسة تعلن ـ في القرن الرابع عشر ـ أنه لو تجرأت امرأة وعالجت الأمراض بغير دراسة، فهي ساحرة، ولا بد أن يحكم عليها بالموت»(٤).

كانت «الدراسة» في العصور الوسطى تعني دراسة تعاليم الكنيسة (ومنها أن الماء المقدس يشفي) وكان هذا العلم بيد الكهنة.

---

(١) انظر، علي وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) V. Girard: Droit - Romain P. 180.

(٣) Jules Michelet, Satanism and Witchcraft P. 225.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩.

إن الكاهن «وليم بيركينز» يقول:

إن شفاء الأجسام والأرواح من اختصاص الإله وحده، وهؤلاء الذين عينهم ممثلين له فوق الأرض، إنما هم الكهنة، لهـذا فإن المـوت هو الجـزاء العادل للساحرة الحكيمة(١).

وفي القرن السابع عشر حين تضاءلت قوة الكنيسة تضاءلت معهـا ظاهـرة السحـر والشيطنـة بين النساء وحلت محلهـا ظاهـرة الجنـون والمـرض النفسي والعصاب والهستيريا. وتقول سجلات التاريخ إن معظم المرضى بهذه الأمراض العقلية والنفسية كن من النساء.

ويصف توماس زاس هؤلاء النساء بقوله: «كان لهن عقل يفكر وينتقد كثيراً، هؤلاء الرافضات غير المتكيفات مع المجتمع ومع قِيَمِهِ التي تجعل الرجال أسياداً والنساء عبيداً وجواري. ولهذا كان وجودهن يهدد المجتمع ونظامه القائم. وكان واجب المعالجين النفسيين والأطباء في ذلك الوقت (وهم الذين خلفوا الكهنة في مهنـة العلاج والتـطبيب) أن يحموا المجتمـع منهن ومن تمـردهن على الأفكـار السائدة(٢).

لقـد كتب «جيكوب بـرنجر» و«هنـريك كـرامر» عن السحـر في العصور الوسطى: إن السبب في أن السحرة الأشرار كانوا غالباً من النساء أن عملية السحر تأتي من الشبق الجنسي الذي هو في النساء لا يرتوي أبداً. أما الرجال فإنهم في مأمن من هذه الجريمة الشنعاء لسبب واحد هو أن المسيح كان رجلاً... تبارك في أعلاه، هو الذي حمى جنس الرجال من هذه الجريمة الكبيرة. لأنه طالما سمح لنفسه بأن يولد، وأن يتعذب من أجلنا فهو قد ضمن إذن للرجال هذه الميزة على النساء(٣).

---

(١) Quotedin Christian Hole. Witchcraft in England P. 130.

(٢) Thomas Zsass. The Manufacture of Madness. routhledge 1971 P. 13.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٧.

٢ ـ المرأة في الجاهلية

عرفت المرأة في الجاهلية أنواعاً متعددة من الزواج منها ما يسمى «بزواج المشاركة» وهو صورة من نظام تعدد الأزواج، حيث تتزوج المرأة بعدد من الرجال بشرط ألا يزيد على عشرة رجال وإلا اعتبرت من البغايا. كان يدخل الرهط دون العشرة على المرأة فيصيبونها فإذا حملت ووضعت ترسل إليهم فلا يستطيع أحدهم أن يمتنع من الحضور. فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم: «قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان. . .

وكان عند العرب أيضاً نوعاً من النكاح يسمى نكاح الاستبضاع. كان يقول الرجل لزوجته إذا طهرت من الطمث «أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه» ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه. وكان الطفل المولود يعتبر ولداً للزوج الشرعي لا للرجل الذي جاء من صلبه[١].

وقد عرف العرب نوعين من الزواج: الزواج بالشراء، وزواج الصديقة. وكان الزواج بالشراء هو أن تصبح الزوجة جارية لزوجها لا يطلقها إلا حين يبيعها لسيد آخر لو أراد. أما زواج الصديقة فهو ألا تكون المرأة جارية. وإنما زوجة صديقة لزوجها. وقد أخذ الإسلام بالنظام الثاني فقط، وهو زواج الصديقة، ولذلك سمّى المهر «بالصَّداق»، وقد أباح الإسلام معاشرة الزوج الجنسية للرقيقاتِ (ما ملكت أيمانهم)، والجواري، دون أن يسمى ذلك زواجاً بل سماه «تسرِّياً»، والسيد ليس ملزماً مطلقاً بأن يعترف بالولد الذي تلده إحدى جواريه. وإذا اعترف يصبح الولد حرّاً، وتصبح أمه حرّة بعد وفاة زوجها.

وقد أباحت المسيحية أيضاً للزوج أن يحتفظ بنساء أخريات في منزله مع زوجته وسمى هؤلاء النساء بالسراري. وما زال المجتمع الحبشي المسيحي حتى اليوم يبيح للزوج أن يحتفظ بهؤلاء السراري في بيته.

وينص قانون نابليون على حق الرجل في خيانة زوجته ما دام لا يحضر

---

(١) عادل أحمد سركيس، «الزواج وتطور المجتمع» دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص ١٠٨.

عشيقته إلى منزل الزوجية، أما الزوجة فإنها عرضة لأشد العقاب إذا أقدمت على خيانة زوجها.

كان العبيد من النساء في الجاهلية يستخدمن بواسطة مالكهن في الخدمة بالبيت والطهو وجمع الحطب والغناء والرقص وإشباع رغبات الرجل الجنسية أيضاً. وفي بعض الأحيان كان المالك يشغلهن بالبغاد من أجل كسب المال[1].

كان العرب في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا ويأخذون أجورهن فجاءت الآية الكريمة من القرآن: **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾**. [النور: ٣٣]

وكان نظام العرب في الجاهلية يعطي الرجال الوصايا على النساء والتحكم فيهن، وكان الأب يزوج ابنته على كره منها من أجل المال، وكانت الزوجة إذا مات زوجها جاء أخوه أو عمه وألقى ثوبه عليها قائلاً «أنا أحق بها، ثم إن شاء أبقاها لنفسه، وإن شاء زوجها غيره وقبض ثمنها رضيت بذلك أم كرهت».

وكانت المرأة عند بعض القبائل، تؤخذ بالقوة، ويباح للرجل الذي يستولي عليها بالقوة أن يعاشرها معاشرة الأزواج. قال حاتم الطائي يصف هذا في شعره.

فما انكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناها بأسيافنا قسراً[2]

وكان يحق للأب أن يقتل ابنته المولودة، وسمي ذلك بوأد البنات، وكانت هناك قبائل تمارس وأد بناتها مثل ربيعة وكندة وتميم[3].

٣ ـ مقاومة القرآن لألوان الاستعباد الجاهلي للمرأة

لقد نظر الجاهلي إلى المرأة نظرة مادية وظيفتها إشباع شهوات الرجل

(١) انظر: الدكتور ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، ١٩٦٠، ص ٤٣ ـ ٤٤.
(٢) الأغاني ج ١٦، ص ٢١.
(٣) انظر: عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، مطبعة دار إحياء دار الكتب العربية بمصر ١٩٢١، ص ١٩٥٠.

الجنسية، ولم يفرق الجاهلي بين المرأة وباقي متاع الحياة الدنيا؛ وقد ورد ذلك في الآيـة الكريمـة: ﴿زين للناس حب الشهـوات من النساء والبنين والقنـاطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾.

[آل عمران: ١٤].

إن الأسباب التي جعلت الرجل الجاهلي يحتقر الأنثى ويجعلها في مستوى يحط من قيمتها الإنسانية والاجتماعيـة مردّه إلى أن العـربي في الجاهليـة أساء استعمال المفهوم اللغـوي لكلمة «أنثى» حيث تـدل الكلمة على معـانٍ مختلفة تتفاوت في القيمة الإنسانية والاجتماعية والدينية؛ ونراه أحياناً يطلق الكلمة للدلالة على الانحطاط والدونية للمرأة، وأحياناً أخرى تطلق للتعبير عن آلهتهم. إن الخلط في التقدير للتسمية نراه في الآيات الكريمة:

﴿إن يدعُونَ من دُونِهِ إلاَّ إناثاً وإن يدعُونَ إلا شيطاناً مَريداً﴾.

[النساء: ١١٧].

﴿أفأصفاكُم رَبُّكُم بالبنينَ واتَّخذ من المـلائكةِ إنـاثاً إنكُم لَتَقُـولُونَ قـولاً عظيماً﴾.

[الإسراء: ٤٠].

﴿أَلَكُمُ الذكَرُ وله الأُنثى﴾.

[النجم: ٢١].

﴿ويجعلُون لله البناتِ سُبحانَهُ ولَهُم ما يَشتهونَ﴾.

[النحل: ٥٧].

﴿ما نعبُدُهمُ إلاَّ ليُقَرِّبُونا إلى الله زُلفىَ﴾.

[الزمر: ٣].

إن الجاهلي كان يعتقد بأن الملائكة بنات الله، وأنه يتقرب منهم لشفاعتهم له عند الله.

إن أسباب ازدواجية موقف الجاهلي من الأنثى، بحيث تبدو أحياناً صنماً

يعبد كاللّات والعزّى ومناة، وأحياناً أخرى كان يظهر الكراهية لولادة البنت بينما يبدو فرحاً بولادة الذكر. وقد وردت الآيات الكريمة التي تظهر وأدهم للبنات كقوله تعالى: ﴿وإذا بُشرَ أَحَدُهُم بالأُنثى ظَلَّ وَجهُهُ مُسْـوَدّاً وهو كَـظِيم * يَتَوَارى مِنَ القومِ من سُوءِ ما بُشّرَ به أيُمسِكُهُ على هُـونٍ أم يدُسُّـهُ في التُّرابِ أَلا سَـاءَ ما يحكُمُونَ﴾.

[النحل: ٥٨ - ٥٩].

والأنثى إذا سلمـت من الوأد لا تبلغ منزلة الذكر في الحقوق والواجبات. وهذا الاعتقاد توارثته الجماعات حتى أصبح من نظام القيم والمعايير السائدة في المجتمع. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحالة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وضعتها قالت ربِّ إني وضَعتُها أُنثى والله أعلمُ بمـا وَضَعَتْ وليس الذَّكَـرُ كالأُنثى وإني سَمَّيتُها مريم وإني أُعِيذُها بِكَ وَذُرّيتها من الشيطانِ الرجيم﴾.

[آل عمران: ٣٦].

إن كراهية الجاهلي لولادة البنت والإقدام على وأدها وتفضيل البنين عليها، ليس ناجماً عن عوامل ذاتية داخلية، لأنه ليس من المعقول أن يقدم إنسان (رجلاً أو امرأة) على قتل ولده لأن ذلك يتعارض ويتناقض مع غرائز الأبوة والأمومة، ولكن ذلك ربما يعود لأسباب الغزو والحروب وما تجلبه الأنثى من العار، أو لأسباب اقتصادية خصوصاً بالنسبة إلى القبائل التي تعاني الفقر وتردي الأوضاع المعيشية لسبب من الأسباب. إن الأنثى التي لا تستطيع جلب الكسب ولا تقوى على الدفاع وحمل السلاح كانت تتعرض للوأد. إن عملية الوأد قد حرمت الأنثى من حقوقها الإنسانية والاجتماعية؛ ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن الأسرة كانت تعاني مرارة هذا السلوك. وقد عبر الإسلام عن بشاعة هذا السلوك وأنكـره بقولـه تعالى: ﴿وإذا المؤُودَةُ سُئِلت * بأيِّ ذَنبٍ قُتلت﴾.

[التكوير: ٨ - ٩].

أما بشأن حق الإرث والكسب وتوزيع المال والثروة. فلم يكن للمرأة في الجـاهلية الحق في الإرث، وإذا مـات الزوج فـإن الأولاد لهم حريـة التصرف بالزوجة، إن شاؤوا زوجوها لأحدهم أو زوجوها لمن يرغبون فيه.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يَحِلُّ لَكُم أن تَرِثوا النِساءَ كَرْهاً ولا تَعضُلُوهُنَّ لِتذهَبُوا ببعضِ ما أتيتُمُوهُنَّ إلَّا أن يأتِينَ بفاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ وعاشِرُوهُنَّ بالمعروفِ فإن كَرِهتُموهُنَّ فعسى أن تكرَهُوا شيئاً ويجعل اللّهُ فيه خيراً كثيراً﴾.

[النساء: ١٩].

إن نصيب المرأة من الإرث والكسب كان يختلف باختلاف الظروف؛ وكان الرجل يطمع بما في يد المرأة من مال، وكان الرجال لا يعطون البنات حقهن في إرث والدهن. وقد وردت بعض الآيات التي تثبت هذا الحق كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عليكُم إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموتُ إن تَرَكَ خيراًالوصيَّةُ للوالدينِ والأقربينَ بالمعروفِ حقّاً على المُتَّقينَ﴾.

[البقرة: ١٨٠].

وهناك آيات تنهى وتندد وتنبه إلى هذا الحق كقوله تعالى: ﴿ويَستفتُونَكَ في النساءِ قُلِ اللّهُ يُفتِيكُم فِيهِنَّ وما يُتلى عليكُم في الكتابِ في يتامى النساءِ التي لا تُؤتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ﴾.

[النساء: ١٢٧]

٤ ـ الحياة الزوجية وعلاقات الزواج

لم تكن العلاقات الزوجية في الجاهلية مبنية على التفاهم والاحترام المتبادل، بل كان الرجل ينظر إلى المرأة كوسيلة لإشباع رغباته ونزواته الجنسية، وكان الرجل كثيراً ما يلجأ إلى ابتزاز المرأة ويهددها بالطلاق إما طمعاً بمال أو حيلة للتخلص منها، وكان على الزوجة أن ترضخ دائماً لمزاج الزوج، ومن الطرق التي كان يتبعها الرجل للضرر بالزوجة وهجرها: «الظهار» وهو أن يقول الزوج لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي وهو قول منكر، وثانيهما «الإيلاء» وهو قسم يحلف به الزوج على أن لا يتصل بزوجته جنسياً، فتصبح المرأة في الحالتين محرمة عليه مع بقائها معلقة في عصمته فلا هي زوجة ولا هي مطلقة.

وقد وردت الآيات القرآنية التي تنكر هذا السلوك وتنصف المرأة:

١ ـ الظهار:

﴿ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلبينِ في جَوفِه وما جَعَلَ أزواجَكُمُ اللائي تُظاهِرَونَ مِنهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ وما جَعَلَ أدعِياءَكُم أبناءَكُم ذلِكُم قَولُكُم بأفواهِكُم والله يقولُ الحقَّ وهو يَهدي السبيلَ﴾.

[الأحزاب: ٤]

وفي قوله تعالى: ﴿قد سَمِعَ اللّهُ قول التي تُجادِلُكَ في زوجِها وتشتكي إلى اللّهِ واللّهُ يسمعُ تحاوَرَكُما إنَّ اللّهَ سميعٌ بصير * الذين يُظاهِرُونَ مِنكُم من نسَائِهم مَا هُنَّ أُمَّهاتهِم إلا اللائي ولدنَهُم وإنَّهُم ليقُولُونَ مُنكراً من القولِ وزُوراً وإن الله لَعَفُوٌّ غفُور * والذين يُظاهِرونَ من نَسَائِهم ثُمَّ يُعودُونَ لِمَا قالوا فتحرير رَقَبَةٍ مِن قَبلِ أن يَتَماسَّا ذلِكُم تُوعظُون به والله بما تَعمَلُونَ خبير * فمن لم يجد فصِيامُ شهرين متتابعين من قبلِ أن يتماسّا فمن لم يستطع فإطعامُ ستينَ مِسكيناً ذلك لِتُؤمِنُوا بالله ورسوله وتلك حدودُ الله وللكافرينَ عذابٌ أليم﴾.

[المجادلة: ١ ـ ٣]

٢ ـ الإيلاء:

كقوله تعالى: ﴿للذين يُؤْلُونَ من نِسائِهم تَرَبُّصُ أربعةِ أشهرٍ فإن فاؤوا فإنّ اللّهَ غفورٌ رحيم * وإن عَزَموا الطلاقَ فإنَّ اللّهَ سميع عليم﴾.

[البقرة: ٢٢٦ ـ ٢٢٧]

إن الإسلام نظر إلى المرأة كشريكة للرجل في بناء الأسرة والجماعة والمجتمع والأمة كقوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ إنّا خلقناكُم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكُم شُعُوباً وقبائِلَ لِتعارفُوا إنَّ أكْرَمَكم عند الله أتقاكُم إن الله عليم خبير﴾.

[الحجرات: ١٣]

إن الإسلام لم يميز بين الرجل والمرأة على أساس الاختلاف في النوع، وإنما التفاضل الحقيقي يكون بالتقوى والإيمان. كقوله تعالى: ﴿يا أيُّها الناسُ اتّقُوا رَبَّكُمْ الذي خَلَقَكُم من نفس واحِدَةٍ وخَلَقَ منها زَوجَها وبثَّ مِنهُمَا رِجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقُوا اللّهَ الذي تَسَاءَلُونَ به والأرحَامَ إن اللّهَ كانَ عليكُم رقيباً﴾.

[النساء: ١]

إن الإسلام جعل المرأة في أمان ولها حق الأرث، ورفع من مستواها الإنساني والاجتماعي حتى يتحقق التكامل والتعادل بين الجنسين، لأن الأمة الإسلامية لا تنهض إلا بالتعاون والانسجام بين جميع المؤمنين والمؤمنات، كقوله تعالى: ﴿فاستجابَ لَهُم رَبُّهم أنّي لا أُضِيعُ عملَ عاملٍ منكُم من ذكرٍ أو أُنثى بَعضُكُم من بعضٍ فالذينِ هَاجَرُوا وأُخرِجُوامن ديارِهم وأُوذوا فيسبيلي وقاتلوا وَقُتلوا لأكَفِّرَنَّ سيئاتِهم وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ثواباً من عند اللَّهِ واللَّهُ عندَهُ حُسنُ الثوابِ﴾.

[آل عمران: ١٩٥].

وفي قوله تعالى: ﴿إن المُسلمينَ والمُسلماتِ والمُؤمِنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرين والصابراتَ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدّقينَ والمتصدّقاتِ والصائمينَ والصائماتِ والحافِظينَ فروجَهُم والحافظاتِ والذّاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ أعَدَّ اللَّهُ لَهُم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.

[الأحزاب؛ ٣٥]

نظرة الإسلام إلى الوظائف والخصائص الفسيولوجية للمرأة

إن التمايز بين الجنسين الذكر والأنثى يعود إلى مجموعة من العوامل المتداخلة والمتشابكة والمتناقضة منها: البيولوجي، والفسيولوجي، والنفسي، والاجتماعي ونظام القيم والمعايير والمعتقدات الدينية والأخلاقية. إن بعض الاتجاهات في علم النفس وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء حاولت أن ترجع الفروقات بين الجنسين إلى الاختلاف في التركيب الفسيولوجي، أما أصحاب الاتجاه الثقافي فقد أرجعوا التمايز إلى عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية. لكن مما لا شك فيه أن التركيب الفسيولوجي والتكوين العضوي للمرأة وما تمر به من تحولات وتغييرات خلال مراحل: الطمث والحمل والولادة والرضاعة والأمومة لا يمكن حصرها وردّها إلى تأثير الوسط الاجتماعي ونظام القيم والمعايير ولكن هذه الدوافع تعود في جذورها إلى تأثير الغرائز والدوافع الفطرية للمرأة وطبيعتها؛ إن العوامل الثقافية الاجتماعية لا تخلق الدافع الفطري والطبيعي ولكنها تؤثر في طريقة إشباعه.

إن الطمث وانقطاعه، والحمل والعقم، والولادة والأمومة تؤثر تأثيراً قوياً في النواحي النفسية والفكرية والعاطفية للمرأة. إن إشباع هذه الدوافع والحاجات الفطرية للمرأة، تختلف باختلاف النماذج الثقافية والاجتماعية. إن إلتصاق المرأة بالطفل خلال مراحل الحمل والولادة والرضاعة والأمومة تبدو متشابهة على صعيد وظائف الأعضاء الفسيولوجية والبيولوجية، ولكن اختلاف القيم والمعايير والمعتقدات الأخلاقية والدينية هي التي تؤثر في نفسية المرأة خلال هذه المراحل. إن تركيب المرأة الفسيولوجيّ وتأثيره في النواحي النفسية والعاطفية والوجدانية

يسمحان للمرأة بأن تتحمل مسؤوليات الحمل والولادة والأمومة والقيام بـوظائف الأسرة على صعيد الاهتمام بالأولاد والزوج والشؤون المنزلية. أما الرجل بما يتميز به من تركيب عضوي وفسيولوجي فإنه يؤهله للقيام بالأعمال التي تتطلب الجهد الفكري والجسدي، حيث لا تستطيع المرأة بحكم تكوينها العضوي القيام.بهذه الأعمال لما تتطلبه من جهد وإرهاق وبسبب طبيعة المرأة وما تتميز بـه من شدة الحساسية والعاطفة وقوة الاندفاع.

من أهم سمـات المرأة التي تعتبـر خصائص أسـاسية لتكـوينها العضـوي والفسيولوجي والنفسي نذكر: الحمل، والأمومة، والأعمال المنزلية.

١ ـ الحمل والأمومة:

إن حاجة المرأة إلى الحمل والأمومة تبدو من الخصائص المميزة للمرأة، وكثيراً ما تعاني المرأة مرارة العقم. رغم علاقات المحبة والتفـاهم والمودة بين الشريكين، فإن العقم يؤثر سلباً في نفسية المرأة؛ وسلوكها، البعض يرجع حالة المرأة وما تمر به من صعوبات إلى القيم والعادات الاجتماعية السائـدة، ولكن المرأة العاقر رغم مظاهر السعادة والاكتفاء فإنهـا تعاني حـالات القلق والصراع النفسي لعدم قدرتها على الإنجاب، وتعتبر وجودها ناقصاً ما لم تنجب. إن المرأة تتحمل مشقات الحمل والوضع والتربية كقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسانَ بوالديه إحساناً حملتهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وحملُهُ وفِصَالُهُ ثلاثون شهراً...﴾.

[الأحقاف: ١٥]

وفي قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسانَ بوالـديهِ حَمَلَتـهُ أُمهُ وَهْنـاً على وَهنٍ وَفِصالُهُ في عَامَينِ أنِ اشكُر لي وَلِوالِدَيك إليَّ المصيرُ﴾.

[لقمان: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿... يخلُقُكُم في بُطُونِ أُمهاتِكُم خَلقاً من بعـدِ خَلقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاَثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم له المُلكُ لا إلَهَ إلا هو فأنَّى تُصرَفُونَ﴾.

[الزُمَر: ٦].

---

(١) المقصود بالكره: المشقة والتعب.

إن ما تمر به المرأة خلال مراحل نمو الجنين داخل الرحم يجعلها تتحمل المشقات والآلام، ولكنّها على الرغم ما تمر به من صعوبات ومعاناة قد تصل أحياناً إلى خطر الموت، نجدها ترغب في وظيفة الحمل والوضع والأمومة. إن الله سبحانه وتعالى قد قرن طاعته بالإحسان إلى الوالدين كقوله تعالى: ﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدا إِلَّا إياهُ وبالوالِدَينِ إحساناً إما يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَر أَحَدُهُمَا أو كِلاَهُمَا فَلا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ ولا تَنهَرهُما وَقُل لَّهُمَا قَولاً كَريماً * واخفِض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمةِ وقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كما رَبيَّاني صَغيراً﴾.

[الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

إن عاطفة الأمومة تتطلب شدة العاطفة والحنان والحساسية، إنها تتحمل العذاب والآلام وسهر الليالي من أجل راحة طفلها. ومن أروع صور الأمومة ما ورد في الآيات الكريمة عن أم موسى عليه السلام مع طفلها حيث عبرت عن الأزمات والحالات النفسية الصعبة التي تعانيها عندما علمت أنها سوف تحرم من وليدها.

﴿إذ أوحينَا إلى أُمِّك مَا يُوحَى * أنِ اقذِفِيهِ في التابوتِ فاقذِفِيهِ في اليَمِّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالساحِلِ يأخُذه عَدُوٌّ لي وَعَدُوٌّ لَهُ وأَلقيتُ عَليكَ مَحبَّةً مِنّي وَلِتُصْنَعَ على عَيني﴾.

[طه: ٣٨ - ٣٩].

﴿إذ تمشي أُختُكَ فتقُولُ هل أَدُلُّكُم على من يكفُلُهُ فَرَجعناكَ إلى أُمِّكَ كي تَقَرَّ عَينُهَا وَلاَ تحزَنَ وَقَتَلتَ نفساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ﴾.

[طه: ٤٠].

﴿وَقَالَت لأُختِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرت بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُم لا يشعُرُونَ * وَحَرَّمنا عليه المَرَاضِعَ مِن قَبلُ فَقَالَت هَل أَدُلُّكُمْ عَلى أَهلِ بَيتٍ يَكفُلُونَهُ لَكُم وَهُم لَهُ ناصِحُونَ﴾.

[القصص: ١١ - ١٢].

﴿وَأصبح فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إن كَادَت لَتُبْدِي بِهِ لَولاَ أَن رَّبَطْنَا على قَلبِها لِتكونَ من المؤمنين﴾.

[القصص: ١٠]

وقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أمِّ موسَى أن أرضِعِيهِ فإذا خِفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنَّا رَادُّوهُ إليكِ وجَاعِلُوهُ من المرسلين﴾ .

[القصص: ٧]

وقوله تعالى : ﴿وقَالَتِ امرأة فِرعَونَ قُرَّةُ عَينٍ لّي ولَكَ لا تَقتلُوهُ عسى أن يَنفَعَنا أو نَتّخِذَهُ وَلَداً وهُمْ لا يشعُرُونَ﴾ .

[القصص: ٩]

وتحققت المعجزة الإلهية بأن يجمع الله موسى بوالدته. إن الطفل الرضيع يرفض كل المرضعات، مما دفع زوجة فرعون آسيا إلى آستدعاء المرضعات؛ ولكن الطفل لم يقبل مرضعة إلا والدته.

٢ ـ عاطفة الأُخوَّة:

إن عاطفة الإخوة هي تعبير عن أسمى مراتب العواطف الإنسانية؛ ولكن الحياة الاجتماعية والاقتصادية المبنية على الطمع والنفع المادي والأنانية والمصلحة الذاتية المحدودة هي التي شوهت هذه العاطفة وانحرفت بها عن مسارها الطبيعي. وإذا انحرفت عاطفة الأخوة عن المشاعر الصادقة، فإن الإنسان تعتريه هوامات وتخيلات من القلق والخوف والحزن والكآبة وتأنيب الضمير.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عاطفة الأخوة عند أخت موسى، فهذه الأخت جازفت بنفسها وتحملت المخاطر حتى وصلت إلى قصر فرعون لترشدهم إلى من يكفل إرضاع الطفل. كما أن الأم أوكلت إلى أخته هذه المهمة لثقتها بتلك العاطفة.

المساواة بين الجنسين في الاسلام

لقد كلف الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى على السواء تكليفاً متساوياً بكل ما يتصل بشؤون الحياة الدنيا والآخرة. وإن الاختلاف بينهما يكون نتيجة التركيب العضوي والفسيولوجي والنفسي للمرأة من جهة، ونتيجة الأفعال والأعمال والسعي في الدنيا والآخرة من جهة أخرى. تقول الآية الكريمة: ﴿وما خَلَقَ الذَّكر والأُنثى * إنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى * فأما من أعطى واتّقى * وصَدَّقَ بالحُسنَى * فسَنُيَسِّرُهُ لليُسرَى * وأما من بَخِل واستغنَى * وكَذَّبَ بالحُسنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرى﴾.

[الليل: ٣ - ١٠]

وقال تعالى: ﴿هو الذي خَلَقَكُم من نَفْسٍ واحدةٍ وجعل منها زَوجَها ليَسكُنَ إليها...﴾.

[الأعراف: ١٨٩]

إن الإسلام نظر إلى الرجل والمرأة نظرة تكاملية أي أن لكل منهما سمات وخصائص متمايزة، ويكمل أحدهما الآخر؛ إن الرجل يمتاز بالقوة الفكرية والنشاط الجسدي، في حين تمتاز المرأة بالعاطفة والحساسية والحدْس والتضحية.

﴿ومن آيَاتِهِ أن خلق لَكُم من أنفُسِكُم أزواجاً لِتسكُنُوا إليها وجعل بينَكُم مودَّةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾.

[الروم: ٢١]

إن الحياة الزوجية لا تستقر إلا بتبادل الحقوق والواجبات على قدم المساواة

بين الشريكين. فكما ينتظر الزوج من زوجته واجبات الطاعة والأمانة والعفة والإخلاص وحسن المعاشرة وقضاء الحاجات وعدم المشاكسة، كذلك فإن الزوجة تنتظر من الزوج أن يشاركها هذه الواجبات في مختلف نواحي الحياة.

١ ـ موقف الإسلام من الدوافع الجنسية عند المرأة

إن علماء النفس والأنتروبولوجيا نظروا إلى الناحية الجنسية عند المرأة نظرة دونية، فعالم النفس سيغموند فرويد يقول:

«إن المرأة ماسوشيّة بطبيعتها وتحب الإيلام والإذلال». في حين أن بعض علماء الأنتروبولوجيا والاجتماع (أوغست كونت) يعتبر أن الأسرة لم تنشأ بدافع حب الرجل للمرأة والأطفال، وإنما نشأت بدافع الاستغلال الاقتصادي والطمع والكراهية. ويرون أن غيرة الرجل على امرأته وفرضه عليها العفة فالعذرية والوحدانية في الزواج لم تنشأ بسبب الحب، وإنما بسبب الرغبة في الامتلاك والسيطرة.

أما الإسلام فقد نظر إلى الناحية الجنسية عند المرأة من خلال وظائفها المتعددة؛ فالمرأة لها سمات وخصائص بيولوجية ونفسية وعاطفية ووجدانية تتأثر بغريزة الجنس وتؤثر فيها. فالغريزة الجنسية عند المرأة تتميز بالحساسية وسرعة الانفعال وقوة الاندفاع. وهي صفة أساسية من صفات الأنثى وهي منشأ لكل ما اتصفت به من صفات حسنة كالحياء والخجل وعدم أخذ المبادرة. كما أن هذه الغريزة إذا خرجت عن إطارها الوظيفي الطبيعي آستُعملت كأسلوب للإغراء والإثارة والكيد والسخرية.

وقد تناول القرآن موضوع الجنس عند المرأة بأساليب تربوية ثلاث:

أ ـ التحذير من عواقب الإثارة والإغراء التي تقود إلى الرذيلة:

قال تعالى: ﴿يا أيُّها النبي قُل لأزواجِكَ وَبَناتِك ونِساءِ المُؤمنينَ يُدْنِينَ عليهِنَّ من جَلَابيبِهِنَّ ذلك أدنى أن يُعرفنَ فلا يُؤذَينَ وكان اللّهُ غفوراً رحيماً﴾.
[الأحزاب: ٥٩]

وقوله تعالى: ﴿وَقُل للمؤمناتِ يَغضُضن من أبصارِهِنَّ ويَحفظنَ فُرُوجَهُنَّ

ولا يُبدِينَ زينتهُنَّ إلا ما ظهر منها ولْيضرِبنَ بخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ ولا يُبدين زِينتهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أو أبنائِهِنَّ أو أبناءِ بُعُولَتِهِنَّ أو إخوانِهُنَّ أو بني إخوانِهِنَّ أو بني أخَواتِهِنَّ أو نسائِهِنَّ أو ما مَلَكت أيمانُهُنَّ أو التابِعِينَ غير أُولي الإربَةِ من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ ما يُخفِينَ من زينَتِهِنَّ وتُوبُوا إلى الله جميعاً أيّها المؤمِنونَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾.

[النور: ٣١]

إن علم النفس اعتبر أن المرأة تتميز بالجانب النرجسي، وهذا معناه أن طبيعة المرأة تدفعها إلى الزينة والتبرج والاهتمام بالمظهر الخارجي لإشباع دافع حب الذات، أو بمعنى آخر إن الغريزة الجنسية تتخذ من الذات موضوعاً للحب (النرجسية)، أو لإثارة الجنس الآخر، وحبها سماع تعابير المدح والإعجاب والغزل.

أما الإسلام فقد انطلق في تحديده لمفهوم الحجاب عند المرأة كوسيلة للحدِّ من الاختلاط بين الرجال والنساء، لأن من أسباب الانحرافات الجنسية والخلقية والخيانات الزوجية هو مغالاة المرأة والإفراط في الزينة وعرض مفاتن الجسد لإثارة الجنس الآخر، وبدافع إشباع الرغبات النرجسية (حب الذات)، أو بدافع حب الظهور والتقليد للمرأة الغربية التي تعتبرها نموذجاً للتقدم والتطور؛ جميع هذه التصرفات من المرأة تثير غرائز الرجل حتى لم يعد يرى فيها إلا موضوعاً للشهوة والرغبة الجنسية ويسعى بشتى الوسائل لتحقيق هذه الرغبات ولو أدى ذلك إلى الزنى وارتكاب الخطيئة والمعاصي؛ مما ينتج عنه الخلافات العائلية والخيانات الزوجية.

إن بعض النساء اللاتي يعملن في جمعيات تحرير المرأة يعتقدن أن تحريم التظاهر بالزينة والتبرج هدفه التضييق على المرأة وحرمانها من حقها الطبيعي في التعبير عن جمالها وأنوثتها لكن هدف الإسلام من منع الزينة والتبرج هو منع الانحرافات الجنسية والخلقية؛ واعتبر أن زينة المرأة وتبرجها إنما تظهرهما لزوجها الذي تجمع بينهما عقدة الصلات الجنسية المشروعة والحلال.

ب ـ وجوب احترام الحق الجنسي للزوجة.

إن إشباع الرغبات الجنسية للزوج والزوجة، يعتبر من الدعائم الأساسية لاستقرار الحياة الزوجية؛ إن غريزة الجنس تختلف عن غريزة الأمومة أو الأخوة، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة: ﴿الذين يُظاهِرُونَ مِنكُم من نسائِهم ما هُنَّ أُمَّهاتِهم إنْ أُمَّهاتُهُم إلا اللائي وَلَدْنَهُم وإنَّهُم لَيَقُولُونَ مُنكَراً من القولِ وزوراً وإن الله لَعَفوٌ غفور﴾.

[المجادلة: ٢]

كذلك فإن الإسلام لم يمنع المسلم من مباشرة الحق الجنسي الطبيعي خلال شهر رمضان، الذي هو شهر الصوم والعبادة، وذلك حتى لا يظلم المسلم نفسه، وحتى لا يؤدي كبت هذه الغريزة إلى اختلال التوازن الروحي والجسدي، لكن الإسلام حرّم على المسلم أن يتعدى حدود الله وقداسة أماكن العبادة وحرمة المسجد بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لكُم لَيلَةَ الصِيام الرَّفَثُ إلى نِسائِكُم هُنَّ لِباس لَكُم وأنتُم لباسٌ لَهُنَّ علم الله أنَّكُم كنتم تختانُون أنفُسكم فتابَ عليكم وعفا عنكُم فالآنَ باشِرُوهُنَّ وابتغُوا ما كتب الله لكُم وكُلُوا واشربوا حتى يَتَبَيَّنَ لكُمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر ثم أتِمُّوا الصيامَ إلى الليل ولا تُباشِرُوهُنَّ وأنتم عاكِفُون في المساجد تلك حُدودُ اللّهِ فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾.

[البقرة: ١٨٧]

وقوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُم حَرثٌ لَكُم فأتُوا حَرثَكُم أنَّى شِئتُم وقدموا لأنفُسِكُم واتقوا الله واعلموا أنَّكُم مُلاقُوهُ وبشر المؤمنين﴾.

[البقرة: ٢٢٣]

أحياناً يسود العلاقات الزوجية حالة من التوتر وسوء التفاهم؛ ومن أجل المحافظة على روابط العاطفة الزوجية، فإن الإسلام يدعو الرجل إلى سلوك السبيل المستقيم؛ كقوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بَعلِها نُشُوزاً أو إعراضاً فلا جُنَاحَ عليهما أن يُصلِحَا بَينهُما صُلحاً والصّلحُ خَيرٌ وأُحضِرَ الأنفُسُ الشُّحَّ وإن

تُحسِنُوا وتتّقوا فإن اللّهَ كان بما تعملونَ خبيراً﴾.

[النساء: ١٢٨].

إن امتناع الزوج عن التودد إلى الزوجة والتقرب منها قد يؤثر في حالتها النفسية والفكرية والجسدية، ويحط من كرامتها ويجعلها تعاني التوتر والصراع والإرهاق مما ينعكس سلباً على حياة الأسرة؛ لذلك فإن القرآن يلفت نظر الزوج إلى احترام كرامة الزوجة وحقوقها الطبيعية، ويخيّره إما الإمساك بإحسان أو التسريح بإحسان. إن الإسلام لفت نظر الزوج إلى سعادة الحياة الزوجية وأهميتها في بناء الأسرة، ودعا الرجل إلى اعتماد أسلوب الصلح والتفاهم وحببه إلى قلبه.

ج ـ موقف الإسلام من حياء المرأة وكيدها

إن علم النفس يعتبر أن الحياء ليس من الصفات الطبيعية للأنثى، ولكنها بسبب فقدانها للقضيب، وعقدة تفوق الذكر عليها، فإنها تظلّ تعاني الشعور بالنقص والدونية؛ وعندما تصل إلى مرحلة البلوغ والنضج فإنها تعبر عن هذا الضعف والرغبة اللاواعية في القضيب بمظهر نفسي هو ما يسمى بالخجل أو «الحياء».

إن علم النفس يحاول أن يسلب الأنثى أسمى ما تتميز به من سمات الأنوثة، لأن الحياء من أفضل الصفات وأحسنها في المرأة، فهو الذي يضفي على الأنثى جمالاً ويقوي الرغبة فيها. وقد أبرز القرآن صورة حياء المرأة في قصة موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ولما وَرَدَ مَاءَ مَديَنَ وَجَدَ عليهِ أُمَّةً منَ النَّاسِ يَسقُون وَوَجَدَ مِن دُونِهِم امرأتينِ تذودَانِ قال ما خَطبُكُما قَالَتَا لا نسقي حتى يُصدِرَ الرِعَاءُ وأَبُونا شَيخٌ كبيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثم تولى إلى الظِلِّ فقال رَبِّ إني لِما أنزَلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ * فجاءَتْه إحداهُمَا تمشي على استحياء قالت إنَّ أبي يدعُوكَ لِيَجزيكَ أجْرَ ما سقَيتَ لنا فلما جَاءَهُ وقصَّ عيه القصَصَ قال لا تَخَف نجوْتَ من القوم الظالمين * قالت إحداهُما يا أبتِ استأجِرْهُ إنَّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمينُ * قال إني أُريدُ أن أُنكِحَكَ إحدى ابنَتيَّ هاتينِ على أن تأجُرَني ثماني حِجَجٍ فإن أتمَمتَ

عشراً فمن عِندِكَ وما أُريدُ أن أَشُقَّ عليكِ سَتَجِدُني إن شاء اللّهُ من الصالحين﴾.
[القصص: ٢٣ ـ ٢٧]

الكيد:

من المعلوم في علم النفس أن الرجل هو الذي يميل إلى الاغتصاب؛ إن سعي الرجل لأخذ المرأة بالقوة (الاغتصاب) هو تعبير عن رغبة «سادية» للانتقام وانتزاع السلطة من المرأة.

كذلك فإن علم النفس يعتبر أن هوامات الفتاة الخيالية حول اغتصاب الرجل لها، ناتجة عن التخويف الشديد من الذكر الذي ترسخه التربية المتزمتة في نفس الطفل البنت، وكذلك بسبب الكبت والحرمان الجنسي الذي قد تعانيه المرأة طوال حياتها، فلا تجد سبيلاً إلى الإشباع الجنسي إلا عن طريق التخيلات والأحلام.

إن المرأة، خارج إطار سلطة الرجل ونظام القيم والمعايير الاجتماعية والعتقدات الدينية والأخلاقية، تطلق العنان لرغباتها وشهواتها وتسلك شتى الوسائل لإشباع هذه الرغبات، وتزداد هذه الرغبة جموحاً لدى المرأة الشبقة التي تتمتع بالمركز الاجتماعي والسلطة والثروة، ومما يدل على ذلك امرأة العزيز في قصة يوسف.

قال تعالى: ﴿ولقد هَمَّت بهِ وهَمَّ بها لولا أن رَأى بُرهانَ ربِّهِ كذلك لِنَصرِفَ عنهُ السُّوءَ والفحشَاءَ إنَّه مِن عِبادِنا المُخْلَصِينَ * واستبقا الباب وقدَّت قَميصَهُ مِن دُبُرٍ وألفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البابِ قالت ما جَزَاءُ من أراد بأهلِكَ سُوءاً إلا أن يُسجَنَ أو عذابٌ أليمٌ * قال هي رَاوَدَتني عن نفسي وشَهِدَ شَاهِدٌ من أهلِهَا إن كان قَميصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَت وهو من الكاذبين * وإن كان قَميصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وهُوَ مِن الصَّادقِينَ * فلما رَأَى قَميصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ قال إنَّـهُ مِن كَيدِكُنَّ إن كَيـدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أعرِض عن هذا واستَغفِرِي لِذَنْبِك إنَّكِ كُنتِ من الخاطِئِينَ * وقال نِسوَةٌ في المدينَةِ امرأةُ العَزِيزِ تُراوِدُ فِتاها عن نَفسِه قد شَغَفَها حُبّاً إنّا لَنَرَاهَا في ضَلالٍ مُبينٍ * فلما سَمِعَت بِمَكرِهِنَّ أَرسَلت إليهِنَّ وأعتَدَت لَهُنَّ مُتَّكأً وأتت كُلَّ واحدةٍ مِنهُنَّ سِكِّيناً وقالتِ اخرُج عَلَيهِنَّ فَلَمّا رَأَينَهُ أكبَرنَهُ وقَطَّعنَ أيدِيَهُنَّ وقُلنَ حاشَا الله ما

هذا شَراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ * قالت فَذَلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه ولقد رَاوَدتُّهُ عن نفسِهِ فاستَعصَمَ ولَئِن لم يَفعل ما آمُرُه لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ من الصاغِرينَ * قال ربِّ السجنُ أحَبُّ إليَّ مما يدعُونَني إليه وإلَّا تصرِف عنِّي كَيدَهُنَّ أصبُ إليهِنَّ وأكُن من الجاهِلينَ﴾

[يوسف: ٢٣ ـ ٣٣]

يقول عالم النفس ماسلو: إنه كلما كانت شخصية المرأة قوية ومسيطرة زادت رغبتها ومتعتها في الجنس. إن المرأة ذات الشخصية القوية تشعر أنها حرّة وأنها حققت ذاتها في أن تكون نفسها الطبيعية وهذا كله ضروري في الحب والجنس بمعناهما الحقيقي، ولكن ماسلو لم يفهم طبيعة المرأة ولم يعر أي اهتمام القِيَمَ والمعتقدات الأخلاقية والدينية.

٢ ـ موقف التشريع الإسلامي من عدم التوازن في الشخصية

إن الإسلام ينظر إلى الشخصية بأبعادها المتعددة: النفسية والفكرية والبيولوجية والاجتماعية والروحية في ضوء المعتقدات والنصوص الدينية بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر. أما علم النفس فإنه يعتبر أن إمكانات الشخصية تتحدد تبعاً للقدرات البيولوجية والفسيولوجية والوراثة، ويضاف إليها تأثير الوسط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

يقول عالم النفس نيومن: هناك نوعان من الشعور داخل الإنسان؛ الشعور الأبوي والشعور الأمومي؛ وتتحدَّدُ إمكانية كل جنس من الجنسين تبعاً للإمكانية التي حددها المجتمع، بينما تبقى الإمكانية الأخرى مكبوتة كامنة في النفس؛ أي أن الرجال يظهرون السمات الذكورية ويكبتون سماتهم الأنثوية، في حين يظهر النساء سماتهن الأنثوية ويخفين الصفات الذكرية.

أما الإسلام فإنه ميز بين نوعين من النساء، نوع يتميز بشدة الحساسية وقوة الاندفاع ويغلب عليه الهوى ويتبع طريق الطغيان ويندفع في هاوية الضلال، ونوع آخر يتبع طريق العقل والحق والإيمان.

من أمثلة النساء اللاتي طلبن طريق الحق ملكة سبأ، التي سعت إلى

التخلص من الضلال وعبادة الشمس، وقبول دعوة سليمان إيّاها إلى الإيمان بوحدانية الله، وقد أسلمت عندما دعيت إلى دخول القصر وشاهدت الحقيقة وطلبت الغفران لذنوبها.

قال تعالى: ﴿قالت يا أيها المَلأ أفتوني في أمرِي ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدُونِ * قالوا نحنُ أُولُوا قُوَّةٍ وأُولُوا بأسٍ شديدٍ والأمرُ إليكِ فانظُري ماذا تأمُرين * قالت إن الملوكَ إذا دخلوا قريةً أفسدُوها وجعلُوا أعِزَّة أهلِها أذلَّةً وكذلك يفعلُون * وإني مُرسِلَةٌ إليهِم بهديةٍ فناظرةٌ بِمَ يَرجعُ المُرسلُونَ﴾.

[النمل: ٣٢ - ٣٥]

وقال تعالى: ﴿قيل لها ادخلي الصَّرحَ فلما رَأتهُ حَسِبتهُ لُجّةً وكشفت عن ساقَيها قال إنهُ صرحٌ مُمرَّدٌ من قواريرَ قالت ربِّ إني ظلمت نفسي وأسْلَمْتُ مع سُليمانَ لله رب العالمين﴾.

[النمل: ٤٤ - ٤٥]

مقابل ملكة سبأ وما تتميز به من الحكمة واستسلامها للحق وسلوكها طريق الإيمان، يظهر طغيان امرأة أبي لهب وتمرد امرأة نوح وظلم زوجة لوط، وقد ضرب الله بهنَّ المثل في الكفر والطغيان.

قال تعالى: ﴿ضربَ اللّهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ كانتا تحت عبدينِ من عِبادنا صالحينِ فخانتاهُما فلم يُغنِيَا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخُلا النار مع الداخلين﴾.

[التحريم: ١٠]

أما امرأة أبي لهب فإنها كافرة وزوجة لِكَافِر واندفعت نحو الشر في مقاومة الدين وقد عاقبها الله بما قدمت يداها. قال تعالى: ﴿وامرأتُهُ حمّالَةَ الحطب * في جِيدِها حبلٌ من مَّسَدٍ﴾.

[المسد: ٤ - ٥]

٢ . ١ ـ المساواة في التشريع بين الجنسين

إن الإسلام من خلال الآيات القرآنية يتوجه إلى جميع الناس دون التمييز

بين فئة أو جماعة أو نوع؛ وإن ورود الخطاب في الكثير من الآيات بلفظ المذكر أنه موجَّه إلى الرجال. إن الآيات التي تتناول مواضيع الميراث والطلاق والشهادة، فإنه للوهلة الأولى تبين عدم المساواة بين الجنسين ولكن بالحقيقة إن التعاون والتكامل موجود بين الذكر والأنثى.

قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياءُ بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المُنكر ويقيمُون الصلاة ويُؤتُون الزكاة ويطيعون الله ورسُولَهُ أولئِك سيرحَمُهُمْ الله إنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيم﴾.

[التوبة: ٧١]

سوف نحاول أن نكشف جوانب المساواة في الإسلام بين الذكر والأنثى في مجالات متعددة.

أ ـ أصل الخلقة والتكوين

إن الجنين سواء كان ذكراً أم أنثى يعود في الأصل إلى نطفة؛ لذلك فلا وجه للتفاضل بين نطفة الذكر ونطفة الأنثى. لكن علم النفس يميز نطفة الرجل بأنهامتحركة تتميز بالحيوية والنشاط في حين أن بويضة الأنثى تتميز بالسكون وعدم الحركة والسلبية. كذلك فإن علم البيولوجيا يحاول أن يميز بين سمات الذكر وسمات الأنثى. أما الإسلام فإنه يعتبر أن الاختلاف في الشكل والخصائص بين الذكر والأنثى لا يدعو إلى التفاضل.

قال تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفةٍ إذا تُمنَى﴾.

[النجم: ٤٥ ـ ٤٦]

وقال تعالى: ﴿ألَم يكُ نُطفةً من مَّنِيّ يُمنى * ثم كان عَلَقَةً فخلق فَسَوّى * فجَعَلَ منه الزَّوْجين ٱلذَّكَرَ والأنثى﴾.

[القيامة: ٣٧ ـ ٣٩]

وقال تعالى: ﴿وخَلَقْناكُم أزواجاً﴾.

[النبأ: ٨]

وقال تعالى: ﴿وما خَلَقَ الذَكَر والأُنثى * إنَّ سعيكُم لَشَتَّى﴾.

[الليل: ٣ ـ ٤]

ب ـ محاولات التكامل والتعاون والتكليف

إن الإسلام لم يميز جنس الذكر من جنس الأنثى من ناحية الخلقة والتكوين والشكل واللون، ولكنه ميز بين الجنسين على أساس التقيد بالأوامر والنواهي التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾.

إن الغريزة الجنسية رغبة مشتركة بين الجنسين. هذه الغريزة تجد الإشباع لها من خلال التحام الذكر والأنثى بعد إتمام عقد الزواج الشرعي. لكن ما تجدر الإشارة إليه أن من شروط نجاح الزواج توافر مجموعة من الشروط والواجبات.

٢.٢ ـ الشروط والواجبات والخصائص التي يتميز بها الزَّوْجان في مجالات متعددة:

أ ـ الناحية لعقائدية:

قال تعالى: ﴿ولا تَنكحُوا المشركـاتِ حتى يُؤمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤمِنَـةٌ خير من مُشركةٍ ولو أعَجبتكُم ولا تُنكِحوا المُشـرِكينَ حتى يُؤمِنوا ولَعبـدٌ مُؤمنٌ خير من مُشركٍ ولو أعجبكم...﴾.

[البقرة: ٢٢١]

ب ـ الناحية الأخلاقية:

قال تعالى: ﴿الخبيثاتُ للخبيثينَ والخبيثونَ للخبيثات والطيبـاتُ للطيبينَ والطيبونَ للطيباتِ أولئك مُبَرَّؤونَ مما يقولون لهم مغفرة ورزقٌ كريم﴾.

[النور: ٢٦]

يعتبر الإسلام أن من شروط نجاح الزواج الانسجام والتـوافق في الإيمان والأخلاق بين الزوجين.

ج ـ التعاون في توزيع المسؤوليات:

إن النظرة السائـدة إلى الرجـل أنه مسؤول فقط عن تـدبير شؤون العـائلة

المعيشية والاقتصادية وأن مسؤولية المرأة تكاد تنحصر في وظيفة الحمل والأمومة والرعاية، وقد نبه القرآن الكريم إلى مراعاة نواحي الإحسان بين الزوج والزوجة وبين الزوج وأبنائه.

قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروفِ لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾...

[البقرة: ٢٣٣]

د ـ الإرث والاستحقاق المالي:

قال تعالى: ﴿للرجالِ نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساءِ نصيبٌ مما ترك الوالدانِ والأقربون مما قل منه أو كَثُرَ نصيباً مفروضاً﴾

[النساء: ٧]

وقال تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضَّلَ اللَّهُ به بعضَكُم على بعضٍ للرجالِ نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساءِ نصيبٌ مما اكتسبنَ وآسألوا الله من فضلِهِ إن الله كان بكل شيءٍ عليماً﴾.

[النساء: ٣٢]

قال تعالى: ﴿يُوصيكُمُ اللَّهُ في أولادكم للذكرِ مِثلُ حظِّ الأُنثيينِ فإن كنَّ نساءً فوق آثنتين فلَهُنَّ ثُلُثَا ما تَركَ...﴾

[النساء: ١١]

لقد سوى الإسلام في تثبيت الحق بين الرجل والمرأة ولكن فضل الرجل في المقدار والنصيب نظراً إلى ما على الرجل من واجبات الإنفاق والمسؤوليات العائلية.

هـ ـ الدعوة المشتركة إلى الأخلاق العامة:

إن الإسلام يدعو الجنسين إلى ستر الأعضاء التناسلية.

قال تعالى: ﴿قُلِ للمؤمنينَ يَغُضُّوا من أبصارِهِم ويحفظوا فُرُوجَهُم ذلك

أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارِهِنَّ ويحفظن فُرُوجَهُنَّ ولا يبدين زينتهنَّ﴾.

[النور: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿والذين هم لِفُروجِهِم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانُهُم فإنهم غيرُ مَلُومينَ﴾.

[المعارج: ٢٩ ـ ٣٠]

إن الدعوة إلى حفظ النفس والتعفف واحدة للجنسين.

قال تعالى: ﴿فمن حَاجَّك فيه من بعد ما جَاءَكَ من العلمِ فَقُل تَعَالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنَا ونساءَكُم وأَنْفُسنَا وأنفُسَكُم ثم نبتهل فنجعَل لعنَة الله على الكاذبين﴾.

[آل عمران: ٦١]

وقال تعالى: ﴿وما كان لِمُؤمنٍ ولا مُؤمِنَةٍ إذا قضى الله ورسُولُهُ أمراً أن يكُون لَهُمُ الخِيرَةَ من أمرِهِم ومن يعصِ الله ورسُولَهُ فَقد ضلَّ ضلالاً مُبيناً﴾.

[الأحزاب: ٣٦]

٣ ـ الترغيب والترهيب في الإسلام

إن الإسلام يدعو المسلمين ذكوراً وإناثاً إلى التمسك بمبادىء الحق والإيمان، وأن يسلكوا طريق الشريعة الإسلامية في شتى مجالات الحياة في الدنيا والآخرة، في الحرب والسلم، في القوة والضعف، في الصحة والمرض، في الغنى والفقر.

يقول تعالى: ﴿وما لَكُم لا تُقاتِلُونَ في سبيل الله والمُستَضعَفِينَ من الرجال والنساءِ والوِلدانِ الذين يقولون ربَّنا أخرجنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها واجعل لنا من لَدُنْكَ ولياً واجعل لنا من لَدُنْكَ نيراً﴾.

[النساء: ٧٥]

أ ـ الأسلوب القصصي للقرآن في الترغيب والترهيب:

لقد اعتمد القرآن أساليب متعددة للترغيب والترهيب منها الأمر والنهي

والقصص. وفي قصة آدم قال تعالى: ﴿ويا آدم اسكُن أنت وزوجُك الجنَّة فَكُلا من حيث شِئتُمَا ولا تقربا هذه الشجرة فتكُونـا من الظالمينَ * فوسوس لَهُمَا الشيطانُ لِيُبدي لَهُما ما وُورِي عنهُما من سَوْآتِهما وقال ما نهاكُما رَبُّكُما عن هذه الشجرةِ إلا أن تكونا مَلَكَينِ أو تكُونا من الخالدين * وقاسَمَهُمَا إنّي لَكُما لَمِنَ الناصِحِينَ * فَدَلاَّهُما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بَدَت لَهُما سَوْآتُهُمَا وطَفِقَا يخصفَانِ عليهِما من وَرَقِ الجنّةِ وناداهُما رَبُّهُما ألم أنهكُمَا عن تِلكُما الشجرةِ وأَقُل لكما إن الشيطانَ لكُما عدوٌ مُبين﴾.

[الأعراف: ١٩ - ٢٣]

إن الذي يوسوس له الشيطان ويتبع غرائزه وشهواته ويعصى أوامر الله فإن مصيره العقاب والقصاص.

قصاص الذين يعصون أوامر الله من الجنسين: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنُوا كُتب عليكُمُ القِصاصُ في القَتلَى الحُرُّ بالحُرِّ والعبدُ بالعبدِ والأُنثى بالأُنثى فمن عُفِيَ لهُ من أخيه شَيءٌ فاتِّبَاعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليه بإحسانٍ ذلك تخفيفٌ من ربِّكُم ورحمةٌ فَمَنِ اعتدى بعد ذلك فَلَهُ عذاب أليم﴾. [البقرة:
[البقرة: ١٧٨]

ب ـ تحمل مسؤولية العمل في الإسلام:

إن الإسلام يهدف إلى جعل الإنسان يتحمل مسؤولية عمله سواء أكان ذكراً أم أنثى. يقول تعالى: ﴿فاستجابَ لهُم رَبُّهم أنِّي لا أُضِيعُ عَمَل عاملٍ منكُم من ذكرٍ أو أنثى بعضُكُم من بعضٍ فالذينَ هَاجَروا وأُخرجُوا من ديارِهِم وأُوذوا في سبيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلوا لأُكفِّرَنَّ عنهُم سَيِّئَاتِهِم ولأُدخِلَنَّهُمْ جناتَ تجري من تحتها الأنهارُ ثواباً من عند اللّهِ واللّهُ عندَهُ حُسنُ الثوابِ﴾.

[آل عمران: ١٩٥]

وقال تعالى: ﴿وَعَد اللّهُ المُؤمنينَ والمُؤمِناتِ جناتٍ تجرِي من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكِنَ طيبةً في جناتِ عدنٍ ورضوانٌ من الله أكبرُ ذلك هو الفوز العظيمُ﴾. [التوبة: ٧٢]

وقال تعالى: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساءِ والوِلدانِ لا يستطيعونَ حيلةً ولا يهتدُونَ سبيلاً﴾.

[النساء: ٩٨]

وقال تعالى: ﴿ويعـذّبَ المنافقين والمنـافقات والمشـركين والمشركـات الظانّينَ باللّهِ ظَنَّ السوءِ عليهِم دائرةُ السوءِ وغضبَ اللّهُ عليهم ولَعَنَهُم وأعدَّ لهم جهنَّم وَسَاءَت مصيراً﴾.

[الفتح: ٦]

وقال تعالى: ﴿وعد اللّهُ المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حَسبُهُم ولَعَنَهُمْ اللّهُ وَلَهُم عذاب مُقيمٌ﴾.

[التوبة: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿لِيُعذِّبَ اللّهُ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركاتِ ويتوبَ اللّهُ على المؤمنِين والمؤمناتِ وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

[الأحزاب: ٧٣]

وقال تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقاتِ للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نُورِكُم قيلَ ارجِعُوا وراءَكُم فالتمِسُوا نُوراً فضُرِبَ بينهُم بسورٍ لهُ بابٌ باطِنُهُ فيه الرحمَةُ وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذابُ﴾.

[الحديد: ١٣]

وقال تعالى: ﴿يوم يفر المرءُ من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحِبَتِهِ وبنيه﴾.

[عبس: ٣٤ - ٣٦]

وقال تعالى: ﴿إن الذينَ فَتنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لم يتُوبُوا فلَهُم عذابُ جهنَّمَ ولَهُم عذابُ الحريقِ﴾.

[البروج: ١٠]

حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام

١ ـ مركز المرأة في الأسرة

إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش خارج إطار الحياة الاجتماعية. وتعتبر الأسرة الركيزة الأساسية في بناء المجتمع. وقد أشار القرآن إلى أهمية الأحاسيس والمشاعر المشتركة بين الزوج والزوجة. إن الرجل يحتاج إلى المرأة كأم، ويعاملها كأخت ويعاشرها كزوجة ويرعاها كبنت وهي في كل ذلك تأنس به وتفتقر إلى عطفه وتحن إلى محبّته، إن القرآن يحث الرجل على التنبّه إلى ضعف المرأة وأن يعاملها المعاملة الحسنة بعيداً عن التحقير والانتقاص.

إن الرجل يقف محتاراً أمام المرأة، هل يستسلم لها وهي هوايته المفضلة ونجواه المحببة؟ أم يقسو عليها ويتجبر وهي ضعيفة البنية أمامه؟

إن الإسلام يدعو الرجل إلى عدم التخلي عن المرأة ويبين له مواقف الإقبال ومواقف الأعراض ويوضّح له مزايا التراحم وقيمة التكافل.

يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنُوا إذا جاءَكُمْ المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أعلمُ بإيمانِهِنَّ فإنْ عَلِمتُمُوهُنَّ مُؤمناتٍ فلا ترجِعُوهُنَّ إلى الكفَّار لا هُنَّ حِلٌّ لهُم ولا هُم يحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم ما أنفقُوا ولا جُناح عليكم أن تنكِحُوهُنَّ إذا أتيتُمُوهُنَّ أُجُورهنَّ ولا تُمسِكُوا بِعِصَم الكوافِرِ وَآسألُوا ما أنفقتم وليسألُوا ما أنفقُوا ذلِكُمْ حُكمُ اللَّهِ يحكُمَ بينكُم والله عليم حكيم﴾.

[الممتحنة: ١٠]

يلفت القرآن الكريم نظر المؤمنين للاعتناء والاهتمام بالنساء المهاجرات

اللاتي هجرن بعولتهن وعشائرهن والتحقن بالرسول الأعظم، يطلبن الانضمام إلى صفوف المسلمين ويأمرهم بأن يولوهُن كبير الاهتمام ويكشفوا عن حقيقة أنفسهن فيمتحنوهن وإذا تبين لهم صدقهن حرم عليهن ردهن إلى الكفار فلا هم يحلون لهن ولا هن يحللن لهم. لقد أعطى الإسلام المرأة المكانة الاجتماعية اللائقة، لأن المجتمع لا يتقدم إلا بمساهمة المرأة خصوصاً فيما يتعلق بنشر الأخلاق والقِيَم والمعتقدات الإسلامية. وقد شجع الإسلام المرأة على المشاركة جنباً إلى جنب مع الرجل في شتى ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. إن الإسلام يدعو إلى عدم عزل العنصر النسائي عن النشاطات الاجتماعية التي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، ويحرص الإسلام على تكوين المرأة تكويناً صالحاً مستقيماً[1].

إن الدعوة في المجال الأخلاقي تظهر في قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤُكُم وأبناؤُكُم وإخوانُكُم وأزواجُكُم وَعَشيرَتُكُم وأموالٌ اقترفتُمُوها وتجارةٌ تخشونَ كَسَادَهَا ومساكنُ تَرضَونَهَا أحبَّ إليكُم من الله ورسُولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حتى يأتيَ اللَّهُ بأمرِهِ واللَّهُ لا يهدي القومَ الفاسقينَ﴾.

[التوبة: ٢٤]

إن المرأة بما تتميز به من أحاسيس ومشاعر العاطفة والحنان تثير شهوات الرجل بقدرتها على إثارة حواسه ومشاعره وغرائزه، لكن ذلك يجب أن لا يبعد الرجل عن الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى العقيدة. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا لن تُغني عنهم أموالُهُم ولا أولادُهُم من الله شيئاً وأولئك هم وقُودُ النارِ﴾.

[آل عمران: ١٠]

إن القرآن ينظر إلى المرأة كمخلوق لا تكتمل سعادة الرجل وراحته إلا به، وكذلك فإن المرأة بحاجة إلى الرجل لما تجد فيه من الرعاية والعطف. وقد عرض القرآن الكريم الدعاء الذي يخرج من حناجر المسلمين وقلوبهم الذين يذكرون الله ويشكرونه.

---

(١) د. فؤاد حيدر التنمية والتخلف في العلم العربي، دار الفكر العربي بيروت ص ١٣٢.

قال تعالى: ﴿والذين يقولون ربَّنا هب لنا من أزواجنا وذُرِّيتنا قُرَّة أعيُنٍ واجعلنا للمُتَّقينَ إماماً﴾.

[الفرقان: ٧٤]

وقال تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى رَبَّه ربِّ لا تَذَرني فرداً وأنت خير الوارثينَ * فاستجبنا له ووهبنا له يَحيى وأصلَحنا له زوجَهُ إنهم كانوا يُسارعونَ في الخيراتِ ويدعوننا رَغَباً وَرَهَباً وكانوا لنا خاشعين﴾.

[الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠]

إن الحياة الدنيا بما تتضمنه من زواج وأولاد وأهل وجماعة قد تطغى أحياناً على جانب الإيمان والتقوى فتبعد الإنسان عن دينه وتشغله عن العبادة؛ فكان التحذير بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آبَاءَكُم وإخوانكُم أولياءَ إن استحبوا الكُفرَ على الإيمانِ ومن يَتَولَّهُم منكُم فأولئك هم الظالمون﴾.

[التوبة: ٢٣]

إن القرآن يعرض قصة فرعون الظالم الذي أساء إلى بني إسرائيل بذبح أولادهم واستباحة نسائهم. وقد وصف الله العذاب والبلاء الذي ينزل بالرجل من جراء انتهاك حرمته وذبح أبنائه.

قال تعالى: ﴿وإذا نجيناكُم من آل فرعون يُسومُونكُم سُوءَ العذابِ يُذَبِّحُونَ أبناءَكُم ويَستَحيُون نِساءَكُم وفي ذلكُم بلاءٌ من ربكم عظيم﴾.

[البقرة: ٤٩]

٢ ـ الزواج في الإسلام:

إن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكائنات من ذكرٍ وأنثى ﴿سبحانَ الذي خلق الأزواجَ كُلّها مما تُنبتُ الأرضُ ومن أنفُسِهم ومما لا يعلَمون﴾.

[يس: ٣٦]

٢ . ١ ـ الحياة الزوجية في الإسلام

حدّد الإسلام الأسس التي تقوم عليها الحياة الزوجية من حيث الكفاءة

النفسية والفكرية والبيولوجية. لأن الزواج بنظر الإسلام ليس إشباع الرغبات والشهوات الجنسية، وإنما هناك مجموعة من الشروط والقواعد التي لا يتم الزواج إلا بعد تحقيقها منها: الإيجاب والقبول والإشهاد والمهر. كذلك فإن الإسلام يدعو إلى حُسْن المعاشرة بين الزوجين حتى ينعما بالحياة الزوجية السعيدة ويسودهما التفاهم والاستقرار والمودة والرحمة.

٢.٢ ـ مسألة التكافؤ في الزواج

إن العرب في الجاهلية كانوا يهتمون بالأنساب والثروة والمراكز الاجتماعية للتكافؤ في الزواج فضلاً عن المغالاة في المهور والنفقات.

ومن الآيات القرآنية التي ترتكز على الدين والخلق الكريم وحسن المعاملة والمعاشرة قوله تعالى: ﴿فإذا نُفخ في الصُّورِ فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلونَ﴾.

[المؤمنون: ١٠١]

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناسُ إن خلقناكُم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُم شعوباً وقبائل لِتَعارفُوا إن أكرمكُم عند الله أتقاكُم إن الله عليم خبيرٌ﴾.

[الحجرات: ١٣]

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مُترفُوها إنا بما أرسلتُم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحنُ بمُعذَّبين﴾.

[سبأ: ٣٤ ـ ٣٥]

الكفاء في الزواج

نظر الإسلام إلى الكفاءة بين الزوجين من جوانب ثلاثة: الكفاءة في العقيدة ـ الكفاءة في الخلق ـ الكفاءة الاجتماعية.

أ ـ الكفاءة في العقيدة:

يدعو الإسلام إلى زواج المؤمن من المؤمنة، يقول تعالى: ﴿اليومَ أحِلَّ لكم الطيباتُ وطعامُ الذين أوتُوا الكتابَ حِلٌ لكُم وطعامُكُم حِلٌ لهم والمُحصناتُ من

المؤمناتِ والمحصناتُ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكُم إذا آتيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحصِنِينَ غير مُسافحين ولا مُتَّخِذِي أخدانٍ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عَمَلُهُ وهو في الآخرةِ من الخاسرين﴾.

[المائدة: ٥]

هكذا نرى أن من أسس الكفاءة بين الزوجين في الإسلام أن يكونا متناسبين في الدين والعقيدة.

ب ـ الكفاءة الخلقية:

من الأسس المهمة لنجاح الحياة الزوجية إضافة إلى كفاءة المعتقد الديني هو التمسك بالمعتقدات الأخلاقية كما حدّدها الإسلام.

قال تعالى: ﴿الزاني لا ينكِحُ إلا زانية أو مُشركةً والزانية لا ينكِحُهَا إلا زانٍ أو مُشرِكٌ وَحُرِّمَ ذلك على المؤمنين﴾.

[النور: ٣]

ج ـ الكفاءة الاجتماعية:

من عوامل نجاح الحياة الزوجية في الإسلام أن يتمتع الزوجين بصفات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية ملائمة.

قال تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نِكاحاً حتى يُغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتابَ مما ملكت أيمانُكم فكاتبوهم إن علمتُم فيهِم خيراً وآتُوهُم من مالِ اللَّهِ الذي آتاكُم ولا تُكرِهوا فتياتِكُم على البغاء إن أردَنَ تحصُّناً لتبتغوا عرض الحياةِ الدنيا ومن يُكرِهُهنَّ فإن الله من بعد إكراهِهِنَّ غفورٌ رحيمٌ﴾.

[النور: ٣٣]

وقال تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكُم طَولاً أن ينكحَ المُحصَنَاتِ المُؤمِناتِ فمِن ما ملكت أيمانُكُم من فتياتِكُم المؤمناتِ واللَّهُ أعلمُ بإيمانِكُم بعضُكُم من بعضٍ فانكِحُوهُنَّ بإذن أهلِهِنَّ وآتُوهُنَّ أجُورَهُنَّ بالمعروف مُحصناتٍ غير مُسافحاتٍ ولا مُتخِذاتِ أخدانٍ فإذا أُحصِنَّ فإن أتين بفاحشةٍ فَعَليهِنَّ نصفُ ما على

المُحصَنَاتِ من العذابِ ذلك لِمن خَشِيَ العَنَتَ منكُم وأن تصبِرُوا خيرٌ لكم والله غفورٌ رحيمٌ﴾.

[النساء: ٢٥]

إن الإسلام يعتبر أن من ركائز نجاح الحياة الـزوجية هـو التكامـل الديني والأخلاقي والاجتماعي بين الزوجين.

٣ ـ عقد الزواج

لا يتم الزواج بنظر الإسلام إلا بعد موافقة الشريكين وتراضيهما، وله شروط ثلاثة:

أ ـ فرض الصّداق:

وهو مقدار مالي (نقدي أو عيني) يقدمه الرجل للمرأة، الهدف منـه ربط المرأة بالرجل دون غيره.

يقول تعالى: ﴿وَآتوا النساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحلَةً فإن طِبنَ لكُم عن شيءٍ منه نفساً فكُلُوهُ هنيئاً مريئاً﴾.

[النساء: ٤]

وقال تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وأتيتُم إحداهُنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونَهُ بُهتاناً وإثماً مُبيناً﴾.

[النساء: ٢٠]

ب ـ الإيجاب والقبول:

من شروط عقد الزواج أن تكون المرأة حرّة وأن توافق بكامل إرادتها دون إكراه، ويتضمن العقد أيضاً إلى جانب حضـور الأنثى وجود الشهـود، وإذا لم يتضمن العقد الشروط الأسـاسية التي نص عليهـا الإسلام فـإنه يفقـد معناه ولا يكتسب صفة العقد الشرعي.

كذلك فإن القرآن يوضح المحارم اللاتي لا يحق للرجل الزواج منهن مثل قرابة الدم القريبة أو الأخت في الرضاعة:

قال تعالى: ﴿ولا تنكِحُوا ما نَكَح آباؤكم من النساءِ إلا ما قد سَلَفَ إنه كان فاحِشةً ومقتاً وساءَ سبيلاً * حُرِّمت عليكُم أمهاتُكم وبَنَاتُكم وأَخَواتُكم وعماتُكم وخالاتُكم وبناتُ الأخِ وبناتُ الأختِ وأمهاتُكم اللاتي أرضعناكم وأخواتُكم من الرَّضَاعَةِ وأمهاتُ نسائِكُم وربائِبُكُمُ اللاتي في حُجُورِكُم من نسائِكُمُ اللاتي دخلتم بِهِنَّ فإن لم تكونوا دخلتم بِهِنَّ فلا جُناحَ عليكُم وحَلَائِلُ أبنائِكُمُ الذينَ من أصلابِكُم وأن تجمعُوا بين الأختينِ إلا ما قد سَلَفَ إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

[النساء: ٢٢ ـ ٢٣]

إن الإسلام لم يضع قيوداً على الزواج بسبب اختلاف العرق أو اللون أو الفئة الاجتماعية ولكنه حرّم زواج الأقارب الذين تربطهم روابط دموية قريبة لأن هذا الزواج قد تنعكس آثاره سلباً على النسل ولا تظهر آثاره إلا بعد مرور الزمن مما ينتج عنه عاهات جسدية وفكرية ونفسية؛ وقد أظهرت أبحاث الطب الحديث مساوىء الزواج بين الأقارب الذين تربطهم قرابة دموية قريبة.

ج ـ الشهود:

لا يصح عقد الزواج إلا بعد وجود الشهود؛ إذا توفرت الشروط الثلاثة التي نص عليها القرآن (المهر، والإيجاب والقبول، والإشهاد) فإن الزواج يعتبر مشروعاً، ولا يقف أي عائقٍ أمام بدء الحياة الزوجية للزوجين.

د ـ العلاقة بين الزوجين:

لقد أكد الإسلام على مجموعة من الحقوق والواجبات التي يفترض أن تتحقق بين الزوجين، فالزواج ليس هدفه إشباع الغريزة الجنسية فقط وإنما الاستقرار والاستمرار وإنجاب الأجيال الصالحة. وقد أمر الله تعالى أن يعاشر المسلم زوجته بالمعروف.

قال تعالى: ﴿أَسكِنُوهُنَّ من حيثُ سكنتُم مِن وُجدِكُم ولا تُضَارُّوهُنَّ لتُضيِّقُوا عليهِنَّ وإن كُنَّ أُولاتِ حملٍ فأنفقوا عليهِنَّ حتى يَضَعنَ حَملَهُنَّ فإن أَرضعنَ لكُم فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأتَمِروا بينكُم بمعروفٍ وإن تعاسرتُم فَستُرضِعُ له أخرى﴾.

[الطلاق: ٦]

وقال تعالى: ﴿وإذا طلقتُم النساءَ فبَلَغن أَجَلَهُنَّ فأَمسِكُوهُنَّ بمعروف أو سَرِحُوهُنَّ بمعروفٍ ولا تُمسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتعتَدُوا ومن يفعل ذلك فقد ظَلَمَ نَفسَهُ...﴾.

[البقرة: ٢٣١]

إن الإسلام يهدف من عقد الزواج إنشاء كيان عائلي يسوده فكرة الأسرة التي تتميز بالهناء والاستقرار والتماسك والتفاهم والاحترام. وإذا آختلف الزوجين فقد أشار القرآن إلى حقوق الزوجة والأولاد القريبة والبعيدة. إن نجاح الأسرة حسب الإسلام هو أن يتم الزواج كما حدّدته العقيدة الإسلامية وأن تكون العلاقة الزوجية قائمة على التوافق والتراضي واحترام الحقوق والواجبات.

مبدأ الإمساك بالمعروف أو التسريح بالحسنى:

قال تعالى: ﴿الطلاق مرتانِ فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ولا يَحِلُّ لكُم أن تأخُذُوا مما أتيتُموهُنَّ شيئاً إلا أن يخافا ألا يُقيما حُدُودَ الله فإن خِفتُم ألا يُقيما حُدُودَ اللَّهِ فلا جُناحَ عليهما فيما افتدت به تلك حُدُودَ الله فلا تعتدُوها ومن يتعدَّ حُدُودَ اللَّهِ فأُولئِك هُمُ الظالمونَ﴾.

[البقرة: ٢٢٩]

وقوله تعالى: ﴿فإذا بَلَغنَ أَجَلهُنَّ فأمسِكُوهُنَّ بمعروفٍ أو فارِقُوهُنَّ بمعروفٍ وأشهدوا ذوي عَدلٍ منكُم وأقيموا الشهادة لله ذلكُم يُوعَظُ به من كان يُؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً﴾.

[الطلاق: ٢]

إن المأمور في هذه الآيات هو الزوج، لأن بيده عقدة النكاح أو حق الإمساك والتسريح. فقوله تعالى: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ تعني أن تكون معاملة الزوج لزوجته في نطاق ما هو متعارف عليه بين الناس أنه خير وحسن وصالح وليس بما تعارف الناس عليه أنه شر وسيِّء.

الطلاق في الاسلام

لقد حث الإسلام على التفاهيم والوفاق بين الزوجين وحسن المعاشرة وعدم الاستجابة لعاطفة النفس ونزواتها وبذل الجهد في الصلح والتوفيق مع عطفٍ على المرأة بنوعٍ خاص.

قال تعالى: ﴿والمطلقاتُ يتربّصنَ بأنفُسِهِنَّ ثلاثَةَ قُرُوءٍ ولا يحلُّ لَهُنَّ أن يكتُمنَ ما خلق الله في أرحَامِهِنَّ إن كُنَّ يُؤمنَّ بالله واليوم الآخر وبُعُولَتُهُنَّ أحَقُّ بردِّهِنَّ في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولَهنَّ مثل الذي عليهِنَّ بالمعروفِ وللرجالِ عَلَيهِنَّ درجةٌ والله عزيز حكيم﴾.

[البقرة: ٢٢٨]

إذا طلق الزوج زوجته وندم على فعله فيحق له مراجعة زوجته بهدف الإصلاح واستئناف الحياة الزوجية.

وقال تعالى: ﴿وإذا طلقتُّم النساءَ فبلَغنَ أجلَهُن فلا تعضُلُوهُنَّ أن ينكِحنَ أزواجهُنَّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يُوعظُ به من كان منكُم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكُم أزكى لكُم وأطهرُ والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾.

[البقرة: ٢٣٢]

تنهي هذه الآية أهل الزوجة عن الممانعة في تحقيق رغبة ابنتهم إذا توافقت مع زوجها الذي طلقها بهدف الإبقاء على الرابطة الزوجية.

وقال تعالى: ﴿وكيف تأخُذُونَه وقد أفضى بعضُكُم إلى بعضٍ وأخذن منكُم ميثاقاً غليظاً﴾.

[النساء: ٢١]

بعض الأزواج يكرهون زوجاتهم ويضايقـونهن ويضاروهن ويمنعـونهن من التصرف في أموالهم بقصد الابتزاز فنهت الآية عن ذلك. وقد بين الإسلام سبباً وجيهاً للطلاق هو ارتكاب فاحشة الزنا وظهور ذلك.

قال تعالى: ﴿وإن خفتُم شقاق بينهما فابعثوا حكمـاً من أهلهِ وحكماً من أهلها إن يُريدا إصلاحاً يُوفِّقِ اللّهُ بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾.

[النساء: ٣٥]

نصت هذه الآية على وجوب التدخل إذا حلَّ خلاف وشقاق بين الزوجين بهدف التوفيق والإصلاح بينهما، حتى تستمر الرابطة الزوجية لأنه إذا استفحـل الشقاق فإنه قد يؤدي إلى الفراق وهدم كيان الأسرة.

١ ـ رعاية الإسلام للمرأة المطلقة

لقد رسم الله سبحانه وتعالى أسلوباً حكيماً في رعاية الزوجة وحمايتها.

قال تعالى: ﴿فإن طلَّقَها فلا تَحِلُّ له من بَعدُ حتى تَنكِحَ زوجاً غيـرهُ فإن طلَّقها فلا جُناحَ عليهما أن يتراجعا إن ظنَّا أن يُقيما حُدُودَ الله وتلك حدودُ الله يبيّنُها لِقَومٍ يعلمون﴾.

[البقرة: ٢٣٠]

قال تعالى: ﴿لا جُناحَ عليكُم إن طلقتُمُ النساءَ ما لم تمسُّوهُنَّ أو تفرضُوا لَهُنَّ فريضةً ومتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُهُ وعلى المُقترِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بالمعروف حقاً على المحسنينَ * وإن طَلَّقْتُموهُنَّ من قبل أن تمسُّوهُنَّ وقد فرضتُم لَهُنَّ فريضةً فنصفُ ما فرضتُم إلا أن يعفُونَ أو يعفُو الذي بيدِه عُقدةُ النِكَاحِ وأن تعفُوا أقرَبُ للتقوى ولا تنسُوا الفضلَ بينكُم إن الله بما تعملونَ بصيرٌ﴾.

[البقرة: ٢٣٦ ـ ٢٣٧]

وقال تعالى: ﴿وَلِلمُطلَّقاتِ متاعٌ بالمعروفِ حقاً على المُتَّقِينَ﴾.

[البقرة: ٢٤١]

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نَكَحتُمُ المؤمِناتِ ثم طلَّقتُمُوهُنَّ من

قبل أن تَمَسُّوهُنَّ فما لكُم عليهِنَّ من عِدَّةٍ تعتدُّونَها فَمتِّعُوهُنَّ وسَرِّحُوهُنَّ سراحاً جميلاً﴾.

[الأحزاب: ٤٩]

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبيُّ إذا طلقتَمُ النساءَ فطلِّقوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وأحصُوا العِدَّة واتَّقوا الله ربَّكُم لا تُخرِجُوهُنَّ من بُيُوتِهِنَّ ولا يَخرُجنَ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مُبينةٍ وتلك حدودُ اللَّهِ وَمَن يتعدَّ حُدُودَ اللَّهِ فقد ظَلَمَ نفسَهُ لا تَدرِي لَعَلَّ الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً﴾.

[الطلاق: ١]

إن أبغض الحلال عند الله الطلاق؛ وقد جعل الإسلام مسؤولية حفظ الحياة الزوجية إلى الزوجين في الدرجة الأولى، وإلى الأهل والأقاب والأصدقاء والقضاء في الدرجة الثانية.

٢ ـ تعدد الزوجات

إن العرب قبل الإسلام كانوا يجمون في عصمتهم زوجات كثيرات، وكانت الحياة الزوجية والعائلية تتعرض لصور عديدة من الضرر والشقاق والخلاف. وقد جاء الإسلام فوضع الأمور في نصابها التشريعي الذي هدفه حماية المرأة وإنصافها.

قال تعالى: ﴿وإن خِفتُم ألا تُقسِطُوا في اليتامى فَانكِحُوا ما طاب لَكُم مِنَ النساءِ مَثنَى وثُلاثَ وَرُباعَ فإن خِفتُم ألَّا تعدِلُوا فواحدةً أو ما مَلَكت أيمانُكُم ذلك أدنى ألَّا تَعُولُوا﴾.

[النساء: ٣]

إن الإسلام ينبه الرجل إلى أنه إذا خاف من عدم العدل والإنصاف اقتصر على زوجة واحدة.

٣ ـ موقف الإسلام من المحصنات وقذفهن والتشكيك بطهارة المرأة

قال تعالى: ﴿والذين يرمُونَ المُحصَنَاتِ ثم لم يأتُوا بأربَعَةِ شُهَدَاءَ

فاجلِدُوهُم ثمانين جلدةً ولا تَقبلُوا لُهم شهادةً أبداً وأُولئِكَ هُمُ الفاسقُونَ﴾.
[النور: ٤]

وقال تعالى: ﴿والذين يرمُونَ أَزواجَهُم ولم يكُن لَهُم شُهَدَاءُ إلا أنفُسُهُم فشهادةُ أحدِهِم أربعُ شَهَاداتٍ بالله إنه لمن الصادقين * والخامِسَةُ أنَّ لَعَنَة اللَّهِ عليه إن كان من الكاذبين * وَيَدْرَؤُوا عنها العذابَ أن تشهَدَ أربعَ شهادات باللَّهِ إنه لمن الكاذبين * والخامسةَ أنَّ غَضَبَ اللَّهِ عليها إن كان من الصادقين﴾.
[النور: ٦ - ٨]

٤ - الحرام والحلال من الأنكحة

النكاح الحرام:

أ - الزنا:

وهو اتصال جنسي بين رجلٍ وامرأة بدون عقد وبدون قصد زواج سواء أكانت المرأة بكراً أم ثيباً أم متزوجة.

وقد نهى القرآن عن الزنا وندد به ورتب على مقترفيه عقوبة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحِشَةَ من نسائِكُم فاستشهدُوا عَلَيهِنَّ أربعةً منكُم فإن شَهِدُوا فأمسِكُوهُنَّ في البيوتِ حتى يَتَوَفَّاهُنَّ الموتُ أو يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سبيلاً * والَّلذَانِ يأتِيانِها منكُم فآذُوهُما فإن تَابَا وأَصلَحَا فأَعرِضُوا عَنهُمَا إنَّ الله كان توَّاباً رحيماً﴾.
[النساء: ١٥ - ١٦]

وقال تعالى: ﴿ولا تَقرَبُوا الزِنى إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً﴾.

[الإسراء: ٣٢]

وقال تعالى: ﴿الزانيةُ والزاني فاجلِدُوا كُلَّ واحدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدةٍ ولا تَأخُذكُم بِهِما رَأفةٌ في دينِ اللَّهِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بالله واليومِ الآخرِ وَليشهد عَذَابَهُمَا طائِفةٌ مِن المُؤمِنينَ﴾.

[النور: ٢]

وقال تعالى: ﴿وإذ تَقُولُ للذي أنعَمَ اللَّهُ عليه وأنعمتَ عليه أَمسِك عَليكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللَّهَ وتُخفِي في نَفسِكَ ما اللَّهُ مُبدِيهِ وتخشَى النّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أن

تخشاهُ فلما قَضَى زَيدٌ منها وَطَراً زوَّجنَاكَها لكي لا يكَونَ على المؤمنينَ حَرَجَ في أزواجِ أدعيائِهِم إذا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَراً وكان أمرُ اللَّهِ مفعولاً﴾.

[الأحزاب: ٣٧]

ب ـ الشذوذ الجنسي

إن الإسلام يعتبر العلاقة الجنسية المثلية بين ذكرٍ وذكر أو بين امرأة وامرأة شذوذاً وانحرافاً.

قال تعالى: ﴿أتأتونَ الذُّكرانَ من العالَمِينَ * وَتَذَرُون ما خَلَقَ لَكُم رَبُّكُم من أزواجِكُم بل أنتم قومٌ عَادُون﴾.

[الشعراء: ١٦٥ ـ ١٦٦]

قال تعالى: ﴿ولُوطاً إذْ قال لقومِهِ أتأتونَ الفاحِشةَ وأنتُم تُبصرونَ * أئِنَّكُم لتأتُونَ الرِجَالَ شهوةً من دونِ النساءِ بل أنتُم قومٌ تَجهلُونَ﴾.

[النمل: ٥٤ ـ ٥٥]

وقوله تعالى: ﴿إنكُم لتأتُونَ الرجالَ شهوةً من دونِ النساءِ بل أنتُم قومٌ مُسرِفُونَ﴾.

[الأعراف: ٨١]

إن الإسلام يدعو إلى عدم ممارسة الجنس مع المرأة خلال فترة الحيض لأن فيه ضرراً نفسياً وصحياً للزوجين.

قال تعالى: ﴿ويسألُونَكَ عن المَحِيضِ قُل هُو أذىً فاعتَزِلُوا النِساءَ في المَحِيضِ ولا تقرَبُوهُنَّ حتى يَطهُرنَ فإذا تَطَهَّرنَ فَأتُوهُنَّ من حيثُ أمَرَكُمْ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحبُّ المُتطهِّرينَ﴾.

[البقرة: ٢٢٢]

ج ـ زواج العبيد والأماء:

قال تعالى: ﴿وَأنكِحُوا الأيامى منكُم والصالِحِينَ من عِبادِكُم وإمائِكُم إن يكُونوا فُقراءَ يُغنِهِمُ اللَّهُ من فضله واللَّهُ واسعٌ عليم﴾.

[النور: ٣٢]

مواضيع متفقة حول المرأة في الإسلام

١ ـ حالة المرأة المتوفَّى زوجها

إن المرأة التي يتوفى زوجها عليها أن تبقى بعده مدة أربعة أشهر وعشراً بدون زواج. وبعد انقضاء هذه الفترة فليس عليها ولا على أوليائها حَرَج. وإذا كانت تتمتع بحسن السلوك والأخلاق الحميدة فليس عليها حرج أن تتزوج، وليس من حرج على من يرغب الزواج منها أن يلمح إلى رغبته في الزواج منها بشرط التزام الحشمة والمعروف بالكلام وأن لا يستعمل أساليب الإغراء المغايرة للوقار والحياء والأدب. أما إذا كانت المرأة المتوفى زوجها حاملاً، فإن مدة الانتظار حددها الإسلام في الآية الكريمة: ﴿... وَأُولاتُ الأحمالِ أجلُهُنَّ أن يَضعنَ حَملَهُنَّ ومن يتَّقِ الله يجعل له من أمرِهِ يسراً﴾.

[الطلاق: ٤]

٢ ـ قوامة الرجل على المرأة

لقد قرر الإسلام حق الإشراف للرجال على النساء، وذلك بسبب ما يتمتّع به الرجل من مزايا خاصة، وما ينفقه من أموال؛ وينوه الإسلام بالمرأة الصالحة، المطيعة لما أمر الله به، الحافظة حقوق زوجها في حضوره وفي غيبته.

إن المرأة التي يبدو منها بوادر العصيان والانحراف والنشوز، فقد أشار الإسلام إلى الرجل بعظتها وردعها بالكلام أولاً، فإذا لم تتعظ وترتدع فبالهجر في المضاجع فإن لم يجد ذلك حلاً فبالضرب... مع وجوب التوقف عن ذلك حالما يبدو من المرأة طاعة وإذعان. إن الإسلام لم يجعل للرجل حقاً مشروعاً في معاملة

المرأة معاملة خشنة بدون حق عادل وضرورة أدبية وأخلاقية ومسلكية.

قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...﴾

[النساء: ٣٤]

وقد سبق هذه الآية آيات فيها تثبيت لحقوق المرأة المالية والزوجية وتعظيم شأن هذه الحقوق ووصية للاعتراف بها واحترامها. وإذا قصر الزوج في النفقه فواجب الزوجة أن تصبر وتتحمل.

وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سعةٍ من سَعَتِه وَمَن قُدِرَ عليه رِزقُهُ فليُنفِقْ مما آتاه اللَّهُ لا يُكلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلا ما آتاها سيجعلُ اللَّهُ بعدَ عُسرٍ يُسراً﴾.

[الطلاق: ٧]

٣ ـ المرأة خارج الأسرة

إن الإسلام حدّد سلوك المرأة وواجباتها في ضوء العقيدة الإسلامية بما يضمن حقوق الرجل والمرأة حيث لا تفضيل فيه لأحدهما على الآخر، وإذا كان من تباين بين الذكر والأنثى فإن ذلك مردّه إلى التمايز بين الجنسين على المستوى البيولوجي والنفسي والفسيولوجي، مما جعل الإسلام يحفظ الخصائص المميزة للأنثى. إن التمايز بين الجنسين من حيث الاختلاف في طبيعة التكوين العضوي والنفسي والفكري دعا الإسلام إلى تخصيص المرأة ببعض الحقوق والواجبات فيما يتعلق بالجوانب التالية:

أ ـ الجانب الأدبي والأخلاقي كالحجاب.
ب ـ الجانب السياسي كالمبايعة.
ج ـ الحق القضائي كالشهادة.
د ـ الحق المادي كالميراث.

أ ـ الحجاب:

لقد فرض الإسلام الحجاب على كل امرأة مسلمة بلغت سن الرشد

والإدراك والوعي لتحمل المسؤولية. إن اختلاط المرأة بالرجل بدون تنظيم لحدود هذا الاختلاط قد يؤدي إلى مشاكل وانحرافات، كما أن منع الاختلاط قد يعزل المرأة عن المجتمع مما يؤثر في استقرارها النفسي والفكري ويحرم المجتمع من طاقتها في تطور المجتمع وتقدمه ويؤدي إلى التخلف. لذلك فقد دعا الإسلام إلى الاختلاط بين الجنسين، ولكن هذا الاختلاط مسموحٌ به ومشروط بقيود أدبية ومادية.

ب ـ الحق السياسي:

إن الإسلام لم يسلب المرأة حقها السياسي ودورها في حياة الأمة:

قال تعالى: ﴿يا أيها النبيُّ إذا جاءَكَ المؤمناتُ يُبَايِعنَك على أن لا يُشرِكنَ باللَّهِ شيئاً ولا يسرِقنَ ولا يزنينَ ولا يَقتُلنَ أولادَهُنَّ ولا يأتينَ بِبُهتَانٍ يَفترِنيهُ بين أيدِيهِن وَأَرْجُلِهِنَّ ولا يعصِينَكَ في معروفٍ فبايِعْهنَّ واستغفرِ لَهُنَّ إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾.

[الممتحنة: ١٢]

ج ـ آداب السلوك بين الرجال والنساء

لقد نظم الإسلام الجوانب الأدبية والأخلاقية للسلوك بين الرجل والمرأة تنظيماً حكيماً فيه الحرية مع التعفف والحشمة، وقد اختص المرأة بآداب سلوكية معينة لما تقتضيه طبيعتها الأنثوية والجنسية.

آداب الدخول:

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخُلُوا بيوتاً غير بيوتِكُم حتى تَستأنسُوا وتُسَلِّموا على أهلها ذلكُم خيرٌ لكُم لعلَّكُم تذكَّرونَ * فإن لم تجدَوا فيها أحداً فلا تدخُلُوها حتى يُؤذنَ لكم وإن قيل لَكُمُ ارجِعُوا فارجعُوا هو أزكى لكُم والله بما تَعملون عليم * ليس عليكُم جُناحٌ أن تدخلوا بيوتاً غَيرَ مسكونةٍ فيها متاعٌ لكُم واللَّهُ يعلم ما تُبدون وما تكتُمُونَ﴾.

[النور: ٢٧ ـ ٢٩]

لقد نبه الإسلام إلى أنه لا يجوز دخول البيوت إلا بعد الاستئناس بود أهلها

والاستئذان والسلام على أهل الدار ليسمحوا بالدخول.

إن الاستئناس والاستئذان والسلام هي إشارات لتنبيه أهل البيت حتى يستعدوا لاستقبال الزائر وقبوله، إذا لم يكن من مانع ويأذنوا له بالدخول؛ إن هذا التنبيه والتأديب عام للرجال والنساء وإنه ليس من جناح وحرج من دخول النساء على النساء والرجال على الرجال بعد صدور إذن الدخول.

ومن آيات آداب الدخول قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِيَستَأذِنْكُم الذين مَلَكتَ أيمانُكُم والذين لم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم ثَلَاثَ مراتٍ من قَبلِ صلاةِ الفجرِ وحين تضعُون ثيابَكُم من الظهيرَةِ ومن بعد صلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عوراتٍ لكم ليس عليكُم ولا عَلَيهِم جُناحٌ بَعدَهُنَّ طَوَّافُون عليكُم بَعضُكُم على بعضٍ كذلك يُبَيّنُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ واللَّهُ عليم حكيم * وإذا بلغَ الأطفالُ منكُمُ الحُلُمَ فَليستأذِنُوا كما استأذَنَ الذينَ من قَبلِهِم كذلك يُبينُ اللَّهُ لكم آياتِهِ واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ﴾.

[النور: ٥٨ - ٥٩]

إن الإسلام يأمر المسلمين بأن لا يدخل عليهم الأولاد الذين هم دون سن الاحتلام ولا عبيدهم في ثلاثة أوقات إلا بعد الاستئذان والإذن وهي: وقت ما قبل الفجر ووقت الظهر وبعد صلاة العشاء، وهي الأوقات التي يخفف فيها عادة الناس من ثيابهم، وإباحة دخولهم عليهم بدون استئذان في غيرها، وأمر الإسلام بعدم دخول الأولاد على المؤمنين حينما يبلغون الحلم بدون استئذان والإذن لهم بالدخول.

قال تعالى: ﴿ليس على الأعمى حَرَجٌ ولا على الأعرجِ حَرَجٌ ولا على المريضِ حَرجٌ ولا على أنفسِكُم أن تَأكُلُوا من بُيُوتِكُم أو بيوتِ آبائِكُم أو بيوتِ أمَّهاتِكُم أو بُيُوتِ إخوانِكُم أو بيوت أَخَواتِكُم أو بُيُوتِ أعمامِكُم أو بُيُوتِ عماتِكُم أو بيوتِ أخوَالِكُم أو بيوت خَالاتِكُم أو ما ملكتُم مفَاتِحَه أو صَديقِكُم ليس عليكُم جُناحٌ أن تَأكُلُوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دَخلتُم بيوتاً فسِلّموا على أنفُسِكُمْ تحيةً من عندِ الله مباركةً طيبةً كذلك يُبينُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ لَعلّكُم تعقِلُونَ﴾.

[النور: ٦١]

إن الإسلام يرفع الحرج وإظهار شعور الضيق عن الإعمى والأعرج

والمريض، كذلك فإن الآية ترفع الحرج عن المرء في أن يأكل من بيته أو بيت أبيه أو بيت أمه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمه أو بيت عمته أو بيت خاله وخالته. وترفع الحَـرَج عن المسلمين في أن يأكلوا كمـا يريـدون متفرقين أو مجتمعين. وتحثهم على تبادل السلام والدعاء لبعضهم البعض بالحياة الطيبة المباركة.

وفي آداب سلوك النساء ورد في الآية الكريمة: ﴿**والقواعِدُ من النساءِ اللاتي لا يَرجُونَ نِكَاحاً فليس عَلَيهِنَّ جُناحٌ أن يضعن ثِيَابَهُنَّ غير مُتَبَرِجاتٍ بزينـةٍ وأن يَستَعفِفنَ خيرٌ لَهُنَّ والله سميع عليم**﴾.

[النور: ٦٠]

إن النساء اللاتي تقدمن في السن وتجاوزن حدّ الإغراء والشهوة الجنسية وقعدن في بيوتهن ولم يبق لهن رجاء في زواج أو لا يرغب في نكاحهن، عليهنّ أن لا يتشدَّدنِ في التستر وذلك للتيسير والتخفيف.

على كل حال فإن الإسلام يهدف إلى الوقاية من الإثارة والإغراء للتخفيف والابتعاد عن الانحرافات الجنسية التي تؤدي بالإنسان سواء أكان رجلاً أم امرأة إلى حالات من التوتر والقلق النفسي وإلى خسارة المركز والدور الاجتماعي بسبب عدم التكيف مع نظام القيم والمعايير والمعتقدات الأخلاقية والدينية.

الخلاصة

إن الفكر الغربي في دراسته لشخصية المرأة، انطلق من مفاهيم ونظريات مادية لتفسير الجوانب المتعددة للشخصية على المستويات: النفسية، والفكرية، والبيولوجية والاجتماعية. فعلم النفس انطلق في تحليله لشخصية المرأة من طبيعة تكوينها البيولوجي والجنسي، وتأثير هذا التكوين خلال مراحل النمو المختلفة على النحو النفسي والفكري والجنسي للمرأة.

فمرحلة الطفولة الأولى للأنثى، حسب التحليل النفسي، تتميز بعقدة إلكترا أو عقدة الخصاء (فقدان القضيب)؛ وهذه العقدة تلعب الدور الأساسي في البناء النفسي والفكري والجنسي للفتاة.

المرحلة الثانية للنموّ، هي مرحلة البلوغ والمراهقة، ومن أهم مظاهرها عند الأنثى ظهور الطمث والإفرازات الهرمونية الجنسية، مما يؤثر تأثيراً قوياً في نفسية الأنثى وفي قدراتها واستعداداتها الفكرية والجسدية والنفسية وفي نمط تفاعلها الاجتماعي.

بعد الزواج تأتي مراحل الحمل والولادة والرضاعة والأمومة، وهذه المراحل تلعب دوراً أساسياً في شخصية المرأة بجوانبها المتعددة: النفسية والفكرية والبيولوجية والاجتماعية.

المرحلة الأخيرة للنمو هي مرحلة الشيخوخة أو سن اليأس؛ خلال هذه المرحلة تواجه المرأة حالات من الحزن والكآبة والقلق بسبب التغيير في الإفرازات الهرمونية الذي يصيب المرأة مما ينعكس على وظائف الأعضاء الفسيولوجية. وعلى التكوين البيولوجي للعضوية.

أما علم البيولوجيا فقد حاول أن يقارن بين شخصية المرأة وشخصية الرجل من خلال التفاعل بين القدرات والاستعدادات العضوية للمرأة وبين البيئة والوسط الذي تنتمي إليه، وما ينتج عن هذا التفاعل من اكتساب للمهارات وتحولات في التركيب العضوي والفسيولوجي والنفسي والفكري للمرأة بما يتناسب مع الظروف المتمايزة للبيئة والوسط.

أما المدرسة الفكرية في علم النفس، فاعتبرت أن التكوين العضوي والفسيولوجي للمرأة يجعلها تستجيب لمثيرات الوسط بما يتناسب مع قدراتها واستعداداتها العضوية والفطرية ومن خلال التفاعل بين قدرات المرأة الحسية والعصبية والفسيولوجية من جهة، وبين الجهاز العصبي الحسي ـ الحركي من جهة ثانية، بحيث يترسخ الوعي والجانب المعرفي للمرأة الذي يميز شخصيتها.

أما المدرسة الثقافية والاجتماعية فقد ألغت الفروق البيولوجية والفسيولوجية بين الرجل والمرأة، واعتبرت أن الاختلاف بين شخصية المرأة وشخصية الرجل يعود إلى النظام الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الدينية والأخلاقية التي تميز بين الجنسين.

أما الإسلام فإنه ينطلق في تحديده لشخصية المرأة بجوانبها المتعددة: النفسية والفكرية والبيولوجية والاجتماعية من الشريعة والمعتقدات والنصوص الدينية؛ لقد أضاف الإسلام إلى الشخصية ركناً أساسياً من أركانها ألا وهو الجانب الروحي.

إن شخصية المرأة في المنظور الإسلامي لا تختلف عن شخصية الرجل إلا من ناحية وظيفتها الطبيعية والبيولوجية (حمل، ولادة، أمومة) ومن ناحية وظيفتها الاجتماعية داخل الأسرة (الاهتمام بالزوج والأولاد والتدبير المنزلي) وخارج الأسرة (السلوك الاجتماعي، الاختلاط...)، هذه الوظائف تعتبر من طبيعة التكوين العضوي والفسيولوجي والنفسي للمرأة؛ إن التمايز بين الرجل والمرأة في الإسلام وظيفته التعاون والتكامل والتفاضل.

لقد جاءت التشريعات الإسلامية لتحمي المرأة وتصونها من خلال المحافظة

على تكوينها العضوي والروحي مما يؤمن الاستقرار الأُسَريّ والاجتماعي في الحياة الدنيا وراحة الروح في الحياة الآخرة.

إن الإسلام يهدف إلى حماية المرأة من الانحرافات الخلقية والنفسية والفكرية والاجتماعية؛ ولكن إذا كانت المرأة في المجتمع العربي والإسلامي لم تزل تعاني بعض مظاهر التخلف والحرمان حقوقها الطبيعية والإنسانية فإن ذلك ليس مَرَدّه إلى التشريع الإسلامي، ولكن ذلك ناتج عن عدم التطبيق الفعلي والعملي للنصوص الدينية كما وردت في «القرآن والسنة وصحيح الحديث». إن المرأة تبدو ضحية الإشاعات والأقاويل والأمثال الشعبية يضاف إلى ذلك تأثير القيم والتقاليد الموروثة من الماضي التي لا تمت إلى الإسلام بصلة. إن مشكلة المرأة في المجتمعات الإسلامية هي نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل المعقدة والمتداخلة والمتشابكة التي تفعل فعلها في سلب المرأة حقوقها وحريتها وإنسانيتها. هذه العوامل يمكن ردّها إلى:

١ ـ استمرار بعض آثار العادات والتقاليد الجاهلية في تعاطي الرجل مع المرأة.

٢ ـ تأثير الأمثال الشعبية والقصص والنوادر التي تحط من قيمة المرأة وتضعها في مركز دون الرجل. من هذه الأمثال التي لم يزل يرددها الكثير من الرجال نذكر:

ـ المرأة بنصف عقل، المرأة مثل السجادة لا تنظف إلا بالضرب؛ المرأة مثل الزيتون ما بتحلى إلا بالرصّ؛ المرأة ضلع أعوج؛ مسمار بالحيط ولا امرأة بالبيت؛

٣ ـ ازدواجية في شخصية الرجل من حيث التفاعل مع المرأة؛ فبعض الرجال يريدون من المرأة أن تتمسك بالقيم والمعتقدات الدينية والأخلاقية ومن جهة أخرى يرغبون المرأة التي تبدو كالمرأة الغربية (المظهر الخارجي، العمل، الحرية)؛ وبين هذا النمط السلوكي وذاك تبدو المرأة في غالبية المجتمعات العربية والإسلامية ضحية الرجل التائه والمسلوب الإرادة والوعي لعجزه عن اختيار النمط الحياتي والسلوكي الثابت والمستقر والواضح الذي ينعكس بدوره على شخصية المرأة وعلى أسلوبها في الحياة.

٤ ـ عدم الوعي الديني الكافي، في فهم حقوق المرأة وواجباتها بما تنص عليها النصوص والمعتقدات الدينية.

أمام هذا الوضع المعقد لا بد من فهم أعمق لمشكلة المرأة والعمل على تحرير المرأة من القيود التي تكبلها وخصوصاً الجهل والأمية وتسلط الرجل عليها الذي يستمد سلطته في التفوق من مجموعة من القيم والمعتقدات والتقاليد الموروثة عن الماضي، بالإضافة إلى حفظه مجموعة من الأمثال والنوادر والقصص الشعبية التي يقصد من استعمالها احتقار المرأة والحط من قيمتها ومركزها الاجتماعي.

بعض الرجال الذين وصلوا إلى مركزٍ عالٍ سواء في الحياة الاجتماعية أو الغنى المالي، ولا يتميزون بالوعي والعلم والثقافة الكافية، فإنهم ينظرون إلى حرية المرأة ومكانتها الاجتماعية، والمركز والدور الذي تلعبه من خلال بعض المظاهر والشكليات وأساليب السلوك التي يغلب عليها طابع الحداثة والحياة العصرية (ملابس، سيارة، سباحة بالمايوه... حفلات الرقص... الماكياج، تسريحة الشعر) كأن تطوّر المرأة أصبح شيئاً يضاف إليها من الخارج، دون الاهتمام بالجوهر الداخلي وما يتضمنه من وعي وإدراك وإيمان وثقافة وفهم لدورها الطبيعي في المجتمع.

إن بعض الاتجاهات الفكرية التي دافعت عن المرأة حاولت أن تفهم موضوع تطور المرأة من خلال التركيز على مفهوم الحرية والمساواة بالرجل، فانطلقت الجمعيات النسائية التي تطالب بمشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومساواتها بالرجل كما حصل في المجتمعات الغربية المتقدمة.

والبعض الآخر اعتبر أن على المرأة لكي تتطور وتتقدم أن تقلّد المرأة الغربية، من حيث الحرية وأسلوب الحياة، والعلاقة بالزوج؛ لكن غاب عن بال هؤلاء أن المرأة الغربية تعاني التوتر والصراع النفسي والقلق لأنها تعاني الإرهاق في العمل، وضغوط الرجل عليها والأجر المنخفض الذي تتقاضاه مقارنة مع ارتفاع الأسعار والتضخم حتى أصبحت قدرتها الشرائية محدودة ومحصورة؛ يضاف إلى ذلك أن المرأة في المجتمعات الغربية تحولت إلى سلعة تجارية تستغل

في وسائل الدعاية والإعلان من خلال إبراز مفاتنها وجمالها لإثارة الشهوات والغرائز الجنسية. إن ما تعانيه المرأة الغربية من ضغوطات اجتماعية واقتصادية ونفسية جعلها تقع ضحية العصاب النفسي، حيث نلاحظ عدداً كبيراً من النساء نزيلات العيادات النفسية فضلاً عن العدد الكبير الذي يعاني الانحرافات الجنسية والإدمان على الكحول والمخدرات، والخيانات الزوجية، والأولاد غير الشرعيين؛ وليس هذا إلا قليلاً من كثير لما تعانيه المرأة الغربية نتيجة لسلبها دورها الطبيعي في الأسرة والمجتمع.

إن تحرير المرأة يعني الإرتقاء بقدراتها واستعداداتها الفطرية والطبيعية، في ضوء المعتقدات الدينية والأخلاقية، ونظام القيم والمعايير والتقاليد الإيجابية.

إن التفاعل بين الارتقاء بالقدرات والاستعدادات الفطرية والطبيعية للمرأة وتغيير المجتمع بجوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بما يتلاءم مع هذا الارتقاء يؤدي إلى تحرير المرأة من القيود التي تكبلها ويسمح لها بممارسة دورها الطبيعي، مما ينتج عنه تطور المجتمع وتقدمه.

الفهرس

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

القسم الثاني

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس